هداية السائرين وزاد المتقين إلى جنات رب العالمين

الشيخ
عاطف عبدالمعز الفيومي



www.alukah.net



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هداية السائرين

وزاد المتقين إلى جنات رب العالمين

تأليف



الطبعة الشرعية





مكتبة
العلم والإيمان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net




حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تنبيه

من أراد أن يطبع الكتاب فليطبعه وليتق الله فيه مع المحافظة على مادة الكتاب كما هي، وتزويد المؤلف بنسخة مطبوعة من الكتاب على هذا العنوان:

مكتب بريد يوسف الصديق - مركز يوسف الصديق – محافظة الفيوم

يصل إلى: اسم المؤلف



www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد ﷺ أما بعد: فلا يزال الإنسان في هذه الحياة الدنيا غريبًا حال إقامته، يحدوه الحنين إلى وطنه الأول، حيث الجنة والإقامة والخلود الأبدي في النعيم والسعادة، فالإنسان سائر في هذه الحياة في طريق الآخرة، شاء أم أبى، والمؤمن الفطن هو من أخذ معه الزاد والعدة، واستعد بخير أعماله للقاء ربه والوقوف بين يديه سبحانه، ولهذا كان من أعظم مهمات بعثة النبي ﷺ تزكية النفوس وهدايتها لأقوم السبل وأكرمها، حتى تسير في طريقها على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

وهذا كتاب مختصر وجيز جمعته وسميته: "**هداية السائرين وزاد المتقين إلى جنات رب العالمين**" جعلته في ترغيب النفس والقلوب على تحصيل الاستقامة والإنابة إلى الله – تعالى –، وتحقيق معالم الطلب والخوف والرجاء، وتحصيل الأجر والثواب في الدار الآخرة، وحمل النفس على الزهد والورع في هذه الدار الفانية، دار الدنيا والغرور، والاستعداد ليوم المعاد، بالجد والاجتهاد، وأخذ العدة من أعمال الخير وحسن الزاد. وترغيب النفس أيضًا على تحصيل الأسباب الموجبة والموصلة لرحمة الله وجنته، لأن جملة النصوص في الوحيين - الكتاب والسنة – قد حوت الأسباب والأعمال والأحوال الموجبة للجنة ودخولها، وبينت فيه بعض سبل الهداية والسلام المفضية إليها، وهذا من رحمة الله – تعالى – وفضله بعباده وأوليائه، فإن من تمام المنة، وعظيم فضل الله - تعالى - بني السنة ﷺ أن بين الله لعباده الصالحين المتقين، وصف الجنة ونعيمها في كتابه القرآن، وفي سنة نبيه ﷺ، كما بين - بعد وصفها بكمالها وجمالها ونعيمها – سبل السلام، ومعالم الهداية الموصلة إليها.

ولهذا جعلت غاية الكتاب أن يكون طريقًا للصالحين، وهداية للمتقين، وزادًا للسائرين المهتدين، إلى جنات رب العالمين، وهو جامع مختصر وجيز في الرقائق والتزكية والسلوك على منهج أهل السنة والجماعة، جمعت فيه ما تيسر من معالم الطريق، وأعلام الهداية، معتمدًا فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد الله – تعالى – على صريح الكتاب والسنة، وجوامع الأخبار والآثار، وما صح من السنة النبوية قدر الاستطاعة. وأما عزو المراجع والمصادر فجعلته جملة في آخر الكتاب، وما وقع فيه من خطأ غير مقصود، وقول غير معهود، فأنا منه براء، راجيًا من الله العلي الكبير، أن يجعله صيبًا نافعًا، ودليلًا جامعًا لكل خير وهداية، اللهم آمين.

وكان الانتهاء منه في الليلة الرابعة عشرة من شهر ذي القعدة من عام ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين بعد الهجرة المباركة، في مركز يوسف الصديق، بمحافظة الفيوم، بمصر الكنانة، وكتبه: الفقير إلى ربه الغني الكريم: أبو شهاب الدين عاطف بن محمد بن عبد المعز بن عبد المهدي بن السيد بن علي بن عيسى بن علي الهنادي السُلمي العَدناني الفيومي السلفي، غفر الله الكريم له، وعفى عنه، والحمد لله رب العالمين.

خادم القرآن والدعوة

عاطف بن محمد بن عبد المعز الفيومي

باحث شرعي مجاز بالقرآن وكتب السنة والشريعة

* * *



www.alukah.net

الفصل الأول:

مقدمات مهمة في التزكية وسبيلها

* المقدمة الأولى: الباعث على التدوين في هداية السائرين:

السائر إلى الله والدار الآخرة، الراغب في الجنة، والمشتاق إليها، لا بد له من هداية تبصره بالطريق، وزاد يعينه على مواصلة السير والسفر، ولقد كان الباعث على التدوين في هداية السائرين عدة أمور:

الأول: الشوق إلى الجنة ونعيمها:

ذلك أن نفسي منذ نشأتها تحب الحديث عن الجنة ونعيمها، وما أعد الرحمن لأهلها من أصناف النعيم والسعادة الأبدية، وتتسلى به عن هموم الدنيا وأنكادها المتتابعة أبدًا، فتخفف الهموم بذلك، وترتفع همتها، وتجدد العزم على مواصلة السفر والرحيل بجميل الزاد، حتى أنني كنت اختلي بنفسي كثيرًا وأذهب أتفكر في الجنة وجمالها وكمالها، وحال المؤمن فيها، وكيف يتنعم بين قصورها وأنهارها وخيامها، فيكاد القلب يرتجف إليها بالشوق والحنين، ويقول: لو كانت الجنة كأسعد يوم يجد إنسان من أيام الدنيا لكفت، فكيف وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مهما جال وصال بفكره.

فالنفس تواقة إلا أن هدايتها إلى منارات السبيل والسير، تحتاج إلى تذكير متكرر، لأن النفس تميل إلى الفتور والتواني، وتهوى الراحة والفسحة، فتقع في الغفلة والنسيان، أو الخطأ والعصيان، ولو أن النفوس ما غفلت لما عصت، ولو أنها ما ذكرت لما تابت وأنابت، ولهذا فالشوق نور وقاد، والهمة عزيمة وثابة، والتذكير تنبيه للغافل، ونفع للجاهل، وهداية للسائر، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "لابد للسالك إلى الله من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه".

الثاني: غفلة البعض عن أعمال القلوب والتزكية:



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما حملني أيضًا أني رأيت كثيرًا من الفضلاء الطيبين، ومحيي السنة والدين، شغلوا عن "أعمال القلوب وأحوالها"، وعن الحديث في الرقائق والزهد والورع والنفس وأنواعها، وعن فقه القلوب وتصفية الأخلاق وتهذيبها، شغلوا عنها بأمور أخرى هي من الشريعة بمكان كالحرص على إظهار السنن النبوية وتعليمها، والتحذير من فرق أهل البدع والضلال وطرقها، وهذا من أعظم الجهاد ولا ريب كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –. إلا أنهم شغلوا بشيء زائد منها حملهم على التقصير من حيث لا يشعرون في أعمال القلوب والنفس وتهذيبها، وهذه ليست طريقة السلف الصالح – رضي الله عنهم –، لأن السلف كانوا أحرص الناس على السنة وإظهارها، ومحاربة البدعة وأصنافها، لكنهم كانوا يقيمون الأمور منازلها ودرجاتها، فلا يقدمون مطلوبًا مهمًا، على مطلوب أهم، ولهذا كانوا يجعلون العالم الفقيه هو من يخشى الله ويرجوا الآخرة ويعمل بعلمه، فيبدوا عليه ذلك في سلوكه وعمله وظاهره.

والذي حمل بعض المتأخرين على هذا التقصير في جانب التصفية والتربية، ظنهم أن الكلام في القلوب وأحوالها، والنفس وتقويمها، والزهد في الدنيا والإعراض عنها، أنه "باب من التصوف عند الصوفية والطرقية"، وكأنه خاص بهم، حيث غلب عليهم الكلام والتصنيف فيه، ووقع كثير من طوائف الصوفية وأئمتهم في صور وألوان من البدع والخرافات والسحر والدجل والشركيات والكفريات، كابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والحلاج والتلمساني، وقالوا بوحدة الوجود وبالحلول وبالفناء وغيرها من أصولهم الباطلة. وظنوا أن السير إلى الله وإصلاح القلوب، من عمل أهل التصوف والطرق، والحق أنه كان من خصائص السلف الصالح وآثارهم معروفة، ولهذا جاء في "مختصر منهاج القاصدين" أنك: "تجد الفقيه يتكلم في الظهار واللعان والزنى والسبق والرمي، ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور فيها، ولا يحتاج إلى مسألة منها، ولا يتكلم في الإخلاص، ولا يحذر من الرياء، وهذا فرض عليه، لأن في إهماله هلاكه، والأول فرض كفاية".

فالمقصود من جملة كلامه: أن الاعتناء بالفقه ومسائله وتفريعاته، والتفسير والحديث واللغة وغيرها من العلوم، يكون فيه حد الاعتدال والنصاب، فلا ينشغل بالظاهر والباطن خواء من المحبة والخشية والخوف والتوكل والإنابة، واليقين، ولا تعرف عينه الدموع، ولا قلبه الخشوع، ولا نفسه التذلل لله – تعالى –.

www.alukah.net

كما لا ينشغل بالباطن وأعمال القلب وإصلاحه، ويهمل رعاية العلم وحفظ الكتاب، وتفسيره وفهم معانيه، ويهمل السنة وكتابة الحديث واستنباط الفوائد والأحكام منه، أو يهمل الفقه الذي به يعرف الحلال من الحرام، والسنة من البدعة، بل طالب الآخرة يجمع بينهما، ويسلك مسلك الاعتدال في العلم والعمل، حتى لا يذم بصفات أهل الكتاب من اليهود والنصارى بتركهم العمل، أو يذم بصفات المنافقين وأشباههم، وتركهم الإخلاص.

الثالث: كثرة طرق أهل البدع والصوفية:

كثرة طرق أهل البدع من الصوفية وغيرهم في هداية السائرين إلى الله وجنته، فهم لهم قطاع طرق عن الصراط الرباني والنبوي القويم، ذلك أن الصوفية فرقة من فرق المسلمين، لهم نوع تعبد وتزهد، ومعه خليط من البدع والمنكرات وغيرها، جلسوا يذكرون الناس والمريدين بالزهد في الدنيا، وتزكية النفس من أدرانها وأنجاسها، ويبصرون القلب بمقامات العبودية القلبية وأحواله، ويحملونهم على الذكر الدائم والتلاوة، وقيام الليل وصيام النهار، وقطع العلائق القاطعة عن الله، والحذر من العوائق الصادة عن سبيله من الشيطان والنفس والدنيا والجهل والهوى، وهذا ولا ريب كله حق وهدى ونور.

إلا أنهم غالوا فيه كثيرًا، وابتدعوا فيه كثيرًا، وجعلوا لهم طرقًا وأورادًا، وحقائق وإشارات ولطائف، وفرقوا في علومهم تلك بين الشريعة والحقيقة، وجعلوا عماد طريقهم الكشف والذوق والرؤى، ومنهم من وقع في القول بالحلول والفناء والاتحاد ووحدة الوجود، فهم بذلك خالفوا هدي النبوة في تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، وخالفوا أنوار الوحي من الكتاب والسنة، وما كان عليه سادة السلف وعبادهم.

كما أن من معاني التصوف عندهم "**قتل الشهوات والغرائز**" بالذكر والتلاوة والمجاهدة والصبر والفقر والصوم، وهذا ليس المنهج السديد في التزكية، لأن الإسلام جاء ليهذب الغرائز ويربيها، وليس لقتلها وسلبها من الإنسان بالكلية، فهذا خلاف الطبع والفطرة والجبلة، كغريزة الميل للمرأة، جعلها مباحة للزواج وملك اليمين، بل جعل فيها صدقة وأثاب عليها، وأما التبتل بها والإعراض عنها فليس من هدي النبوة في شيء، وكذلك الطعام ومنع النفس عن بعض ما تشتهي منه، وقد كان أزهد الخلق في الدنيا ﷺ يأكل الحلوى وما طاب من اللحم، وليس امتناعًا بالكلية عما تريده النفس وتشتهيه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك العطر واللباس، فكان النبي ﷺ أزهد الناس وأعطرهم وأجملهم هيئة، فلم يمنعه الزهد من التعطر ولبس الثياب الطيبة، وكذلك كان الصحابة والتابعون المتقون، ومن يزعم أن لبس الخرقة والثياب البالية كان هديًا وتزكية، فما أقل علمه، وأضل سبيله عن أنوار الوحي والنبوة، ولهذا كثر الغلط في شيوخ الصوفية وأئمتهم، وفي أتباعهم ومريديهم لا حد له عندهم، قال ابن الجوزي – رحمه الله -: "تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فرأيت أكثرها منحرفاً عن الشريعة، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأي، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت، فمن ذلك، أنهم سمعوا في القرآن العزيز: ﴿**وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**﴾، ﴿**اعلَمُوا أنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ**﴾، ثم سمعوا في الحديث: "للدنيا أهون على الله من شاة ميتة، على أهلها" فبالغوا في هجرها من غير بحث عن حقيقتها".

وقد نقل ابن القيم، وابن الجوزي في كتابيه "صيد الخاطر"، و"تلبيس إبليس" عنهم عجائب وغرائب من الجهل والضلال والبدع التي لا تقف، وصدهم عن حفظ الحديث وطلب العلم والفقه، وانشغالهم بالخلوات والأوراد والأرزاق، والغناء والرقص والسماع الشركي.

فالصوفية من آفاتهم الزهد في العلم والفقه في الدين وأصوله، وقد روى ابن الجوزي عن جعفر الخالدي قال: "لو تركني الصوفية لجئتكم بأسانيد الدنيا، لقد مضيت إلى عباس وأنا أحدث، فكتبت عنه مجلسًا واحدًا، وخرجت من عنده، فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية، فقال: "إيش هذا معك"؟ فأريته إياه، فقال: "ويحك تدع علم الخِرَق، وتأخذ علم الورق، ثم مزَّق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عباس... ورأيت محبرة مع بعض الصوفية، فقال له صوفي آخر: استر عورتك ! وقد أنشدوا للشبلي:

إذا طالبوني بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق

وهذا من خفي حيل إبليس، ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾، وإنما فعل وزينه عندهم لسببين:

أحدهما: أنه أرادهم يمشون في الظلمة.

والثاني: أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم، ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، خصوصاً إذا تصفح منهاج الرسول

www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم، والصحابة، فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا العلم لنفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل، فاحذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم، والنور الأكبر، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة، والحج والغزو، وكم من معرض عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تعبده، ويضيع كثيراً من الفرض بالنفل، ويشتغل بما يزعمه الأفضل عن الواجب، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى، فتأمل ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى".

فتأمل كيف صده لهم عن طلب العلم والحديث، وكيف تلاعب بهم الشيطان وأقعدهم عن سبيله، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، ولهذا قال ابنُ القيمّ: "من أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالكَ إمَّا على خيال صوفي، أو قياسٍ فلسفي، أو رأيٍ نفسي، فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدّثنا إلاّ شبهاتُ المتكلمين، وآراءُ المنحرفين، وخيالاتُ المتصوفين، وقياسُ المتفلسفين، ومن فارقَ الدليل ضلَّ عن سواءِ السبيل، ولا دليل إلى الله والجنّةِ سوى الكتابُ والسنّة".

كما أن الصوفية كانوا أحد أسباب ضعف المسلمين، ذلك بأنهم اتخذوا ثقافة التواكل بدل التوكل على الله وحده، ورغبوا عن الدنيا كليًا زعمًا أن هذا هو تمام الزهد والورع والاستقامة، حتى ركن المسلمون إلى التواكل في العلوم والصناعات.

وكذلك "**كثرة طرقهم**" كالشاذلية، والبدوية، والمهدية، والخلوتية، والإدريسية، والأحمدية، والقادرية، والمرسية، والرفاعية، والبطائحية، والنور بخشية، والعيدروسية والنقشبندية، والتيجانية، والرفاعية، والعدوية، والبيانية، والجشتية، والفرغلية، والسالمية، والمشعشعية، وكل طريقة منها لها شيخها ومنهجها، وكل شيخ له سبيل وأوراد وأحوال خاصة بطريقته،

أما أهل السنة والجماعة فليس لهم إلا طريق واحد، وهو اتباع الكتاب والسنة، وهذا من أعظم الفوارق بين أهل السنة وأصحاب البدع والتفرق، وقد ناظر بعضهم ابن تيمية – رحمه الله – قالوا: نحن ندخل النار ولا يضرنا، قال:

أولاً: نغتسل كلنا، تغتسلون أمامي، ثم أدخل أنا وأنتم إلى النار، فرفضوا ذلك، وقصة مناظرته لهم معروفة مشهورة.



ومن عجائبهم، القول بأن أحدهم قد يرى النبي ﷺ في اليقظة، وهذا من خلل العلم والعقل، أو أنه يحضر معهم الرقص والغناء في المولد المزعوم، وهذا أعجب من الأول. ومن عجائب ما وقع لي معهم أني زرت أحد البلدان مع أحد الفضلاء، فجاء وقت صلاة المغرب وكان في رمضان، فدخلنا أحد المساجد، وكان من مساجد الصوفية في المطرية بالقاهرة، فقدموني للإمامة بهم، فقرأت مع الفاتحة في الركعتين الأوليين الضحى والشرح، ثم أخبرني بعدها صاحبي أن القوم غضبوا، وقالوا: لو علمنا قبل الصلاة أنه وهابي ما قدمناه للإمامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فهذا حالهم، ولهذا أردت هداية لنفسي على سبيل وسنة، ثم لمن طابت نفسه مطالعة للكتاب وإفادة.

وجماع ما عليه أهل الطرق والتصوف - سواء صوفية الزهاد والعباد، أو صوفية الفلسفة والكلام - جملة، ما قاله ابن الجوزي – رحمه الله -: "ثم من الدخل الذي دخل ديننا طريق المتصوفة فإنهم سلكوا طرقاً أكثرها تنافي الشريعة، وأهل التدين منهم يقللون ويخففون، وهذا ليس بشرع، ... ومنهم أقواماً عملوا سننا لهم تلقوها من كلمات أكثرها لا يثبت، ومنهم من أكب على سماع الغناء والرقص واللعب ثم انقسم هؤلاء، فمنهم من يدعي العشق فيه، ومنهم من يقول بالحلول، ومنهم يسمع على وجه الهوى واللعب، وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام".

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "ومما أحدث من العلوم، الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف، وفيه خطر عظيم وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره، وقد اتسع الخرق في هذا الباب، ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنهم مستغنون عنهم .. وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شئ، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة، وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة والغناء والنظر المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً".

والإمام ابن القيم – رحمه الله – عقد فصولًا في كتابه الماتع "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، للرد على حيل ومكر الشيطان وتلاعبه بالفرق وبالصوفية وعقولهم، وأنكر عليهم

www.alukah.net

ما أحدثوه في الدين من خرافات وضلالات وأهواء وشركيات، كما ذكر في إحدى القصائد في كتابه قوله:

إن قلتَ قال الله قال رسوله	همزوك همز المنكر المتغالي
أو قلتَ قد قال الصحابة والألى	تبعوهمُ في القول والأعمالِ
أو قلتَ قال الآل آل المصطفى	صلى عليه الله أفضل آلِ
أو قلتَ قال الشافعي و أحمد	و أبو حنيفة والإمام العالي
أو قلتَ قال صحابهم من بعد هم	فالكل عندهم كشبه خيالِ
ويقول: قلبي قال لي عن سره	عن سر سري عن صفا أحوالي
عن صفو وقتي عن حقيقة مشهدي	عن سر ذاتي عن صفات فعالي
تركوا الحقائق والشرائع واقتدوا	بظواهر الجهال والضلالِ

وقال أبو أحمد الشيرازي: "كان الصوفية يسخرون من الشيطان، والآن الشيطان يسخر منهم".

فالمقصود مما ذكرنا؛ أن الصوفية صارت من الفرق المنحرفة عن هدي الكتاب والسنة في كثير من أمورها، ولعل المتأمل في انحرافها وبدعها، يرى أنه يعود لأسباب منها: انحرافهم عن مصدر التلقي والهداية؛ وهو الوحي في الكتاب والسنة، فصاروا يتلقون علومهم عن شيوخهم وكتبهم وطرقهم، وهذا أدى بهم إلى الانحراف في العقيدة؛ والقول بالحلول والاتحاد والفناء، والانحراف في مسائل التعبد أو العبادة ، ومسائل التوسل والكرامات والنبوات، والمظاهر الشركية الكبيرة، من سؤال الموتى، والدعاء عند قبورهم لطلب الحاجات وتفريج الكربات، بل والطواف حولها حتى جعلوا قبور بعض أئمتهم أفضل من الكعبة التي هي بيت الله تعالى.

ولهذا عزمت بإذن الله وقوته، على تدوين هذه الكلمات المختصرات، نشرا لمنهج التزكية القويم، في إصلاح النفس والقلب، على طريقة أهل السنة والهدى، وأتباع الحديث والأثر، وهذا من أجل الطرق إلى صد البدع وأهلها، وإحياء السنن وهديها، والله يهدي إلى سواء السبيل.

* * *





* المقدمة الثانية: التزكية والهداية من مطالب الكتاب والسنة:

أولًا: معنى التزكية ومطلبها في الكتاب والسنة:

المراد بالتزكية: عند أهل اللغة: الزيادة والنماء والتطهير، ومنه قول الله سبحانه: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٠٣].

والمراد منها اصطلاحًا أو شرعًا: تطهير النفس وإصلاحها من أمراضها؛ كالكفر والشرك، والنفاق، والظلم، والجهل، والهوى، والكبر، والعجب، والغرور، وطلب الجاه، وحب الشهوات المحرمة، وصرف الخوف والرجاء والتوكل والمحبة في العبودية لغير الله، وإصلاح النفس والقلب بأضداها، من التوبة، والخشية، والإنابة، والمحبة، والتوكل.

ولا يكون ذلك إلا بما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، كتحقيق الإيمان، والإخلاص والمحبة، والعمل الصالح، وفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور - كما سيأتي إن شاء الله -، ولهذا أرشد الله لها في القرآن فقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وقال سبحانه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

وقال تعالى في وظيفة النبي محمد ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى**﴾ [طه: ٧٥-٧٦]، وجاء في الحديث دعاء النبي ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها".

وكذلك فإن تزكية النفس والقلب، فيه ارتباط بين الظاهر والباطن في الصلاح والهداية، فإن من صلح له قلبه، واستقامت له نفسه، أثر ذلك في سلوكه وعبادته وعمله الظاهر بالصلاح والاستقامة وحسن الخلق، لأن فساد الظاهر دلالة قوية على فساد الباطن.

وقد جاء في الحديث: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

www.alukah.net

وقال الشاطبيُّ – رحمه الله تعالى –: "الأعمالُ الظاهرةُ في الشرع دليلٌ على ما في الباطن فإذا كان الظاهرُ منخرماً أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك".

وقال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى –: "من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال: قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ [الجن:١٦]".

فتزكية النفس والقلب من مطلوبات الكتاب والسنة، والنصوص بينة فيها وكثيرة، لكن الصوفية اشتغلوا بها وخلطوا معها البدع والشركيات والضلالات، كما قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: "الدينُ كلُّه خُلُقٌ، فمن زاد عليك في الخلُقِ زاد عليك في الدين".

ومنهج أهل السنة ليس فيه تصوف بواقعه الطرقي المنتشر بين المتأخرين منهم خاصة، إنما فيه استقامة وتزكية، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

وهذا ما كان عليه الصوفية الأوائل الموصوفين بالسنة والعلم والفضل، كما قال شيخ الإسلام، لأن الإنسان سائر إلى الله على جميع أحواله، أي راجع إليه، موقوف بين يديه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾، إلا أن المؤمن في سيره أعد نفسه وعمله بما أمر به الله ورسوله توحيدًا وتزكية واتباعًا، والشقي الفاجر خالف فيلقى ربه بغير هدى ولا زاد ولا عمل يرجوا به رحمته وجنته.

ثانيًا: مراعاة الألفاظ وضبطها:

ومما عرف من الألفاظ في باب التزكية والسلوك "**لفظ التصوف**"، فقد جعلها الصوفية في بيان حالهم وزهدهم وطلبهم للآخرة، وهؤلاء صوفية الزهاد والعباد، لهذا فإن كلمة "التصوف" لفظ قد يخرج منه موافقة للكتاب والسنة بحسبه، وقد يخرج منه مخالفة وبدعة بحسبه، ولهذا يكون النظر إلى الحال والعمل، لا إلى اللفظ المجرد.

والمتصوفة الأوائل كان فيهم نوع تسنن بالكتاب والسنة، إلا أن من جاء بعدهم غلب عليهم البدع والطرق والضلال، فصار التصوف مما لا يطلب ولا يمدح، وقد قال شيخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلام ابن تيمية: "لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيها أمور يحبها الله ورسوله، فتلك يؤمر بها، وإن سميت فقرا أو تصوفا؛ لأن الكتاب والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج عن ذلك بأن تسمى باسم آخر، كما يدخل في ذلك أعمال القلوب، كالتوبة والصبر.. وقد أدخل فيها أمور يكرهها الله ورسوله؛ كما يدخل فيها بعضهم نوعا من الحلول والاتحاد، وآخرون نوعا من الرهبانية المبتدعة في الإسلام، وآخرون نوعا من المخالفة للشريعة، إلى أمور ابتدعوها، إلى أشياء أخر، فهذه الأمور ينهى عنها بأي اسم سميت".

ومثله لفظ "**السير، أو السائر إلى الله، والزاهد، والعابد**"، فقد يكون المعنى منه التصوف البدعي، وقد يكون المعنى منه التزكية الشرعية، وهذا الثاني هو المقصود في كتابنا هذا، ولهذا فإن من الغلط رد الألفاظ دون النظر إلى مدلولاتها على الحقيقة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: "الألفاظ التي جاء بها الكتابُ والسنّةُ علينا أن نتبّع ما دلت عليه مثل لفظ الإيمان والتقوى والإحسان والتوكل والحب لله".

وقال أيضاً: "وأما الألفاظُ التي ليست في الكتاب والسنّة ولا تقف السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحدٍ أن يوافقَ من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنىً يوافقُ خبرَ الرسول أقرَّ به، وإن أراد بها معنى يخالفُ خبرَ الرسولِ أنكره".

ثالثًا: التصوف السني والبدعي والقول فيهما:

وعلى هذا فقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في تفريقه بين صوفية أهل السنة، وصوفية أهل البدعة، بقوله:

"والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية، وأبو القاسم القشيري في الرسالة، كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث، كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب..".

ثم قال: "لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم

www.alukah.net

وأعلامهم... وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة، كهؤلاء الملاحدة".

وكذلك فعل الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في "مجموع فتاويه" حيث قال: "المتصوفة على قسمين: متصوفة سُنِّيين، ومتصوفة بدعِيِّين، ومقتصدوهم ليس فيهم إلا القليل من البدعة، وبعضهم عنده الشيء الكثير، وجعلوا التصوف نافذة إلى وحدة الوجود".

وليس المقصود هنا بذكر تقسيم الصوفية إلى سنية وبدعية هو تصويب طريقهم في التزكية والسلوك بإطلاق، كلا، فكيف يصوب طريق من حشوا عقولهم وقلوبهم بالكشف والذوق والوجد والرؤى، وتقبيل الأعتاب والأخشاب، وسؤال الموتى في قبورهم مما لا يسأل به إلا الله وحده، **إنما القصد يكون:**

أولًا: في بيان طريقة تعامل الأكابر من أهل العلم بالعدل والإنصاف مع المخالفين، فلا يصدرون الأحكام مطلقة، أو جزافًا دون تحقيق وتبيين، وهذا ما كان عليه سادة السلف ومحققيهم.

وهذا عين ما فعله ابن القيم – رحمه الله – في "مدارج السالكين" مع الشيخ إسماعيل الهروي، صاحب "منازل السائرين"، كما أن المتتبع لعلوم شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفاته على سبيل المثال، يجد دقته وتحقيقه في المسائل والأحكام والفرق، بل ومراعاة العدل والإنصاف حتى بين مخالفيه أنفسهم، على خلاف ما عليه بعض المتأخرين في زماننا، حيث وقعوا في صور من المجازفة والتبديع المطلق لمجرد تصويب قول، أو التماس تأويل شرعي يحمل فيه الكلام على أحسن محامله، وهذا من قلة العلم، وسوء الفهم، واتباع الهوى.

فالقول: أن الصوفية فيهم المتسننة والمبتدعة، ليس لاتباعهم، إنما لبيان من وافق منهم متابعة الحق والهدي والسنة، حتى لا يُرمى ببدعة أو زندقة لكونه من المتصوفة، ومن المسائل الواضحة أنه ليس كل من قال حقًا أو وافقه كان من أهله دون بينة أو برهان. فأصحاب الفرق وافقوا الحق والسنة في مسائل، فلا يعني هذا تصويب ما هم عليه من باطل وضلال، كالشيعة والمعتزلة والأشاعرة والصوفية، إنما قبول ما عندهم إذا وافق الكتاب والسنة لأنه الحق، وليس لكونهم قالوا به، فكذلك التزكية والزهد وأعمال القلوب هي من أصول الدين وقواعده، وهدي السنة فيها أكمل وأعلى وأهدى.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولهذا ذهب محدث عصرنا الإمام محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – إلى رفض تقسيم التصوف إلى سني وبدعي، خلافًا لما سلف عن شيخ الإسلام وغيره، وقال جوابًا على أحد الأسئلة التي وجهت إليه عبر الهاتف، عن هذا التقسيم من شيخ الإسلام للتصوف: "التصوف لا يمدح لأنه تصوف، لكن ما كان منه مطابقاً للكتاب والسنة فهو مما ينبغي عدم رده بمجرد أنه يقال إنه تصوف، يعني لاشك أن المذهب من المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة هو الأقوى والأسلم من كثير من أقوال المتصوفة، فكما أنه يوجد في كل مذهب من المذاهب ما يوافق الكتاب والسنة فيؤخذ به لموافقته للكتاب والسنة، لا لأنه مذهب إمام من الأئمة، وإذا وجد في مذهب من مذاهب هؤلاء الأئمة ما يخالف الكتاب والسنة رد ورفض، وإن كان قد قال به إمام من الأئمة، فالتصوف كذلك يُقالُ فيه، ما وافق الكتاب والسنة فهو صواب وما خالفه فليس بصواب، لكن لا ينبغي أن يقال هناك تصوف صالح وتصوف طالح لأن ما في الكتاب والسنة يغني عن كل ذلك، هذا رأيي واعتقادي".

وكلام العلامة الألباني قاعدته؛ أن المتأمل اليوم في حالة المتصوفة وبدعهم وانحرافهم عن منهاج السنة النبوية في كثير من أعمالهم، لا يمكنه عمليًا أن يميز بين تصوف سني أو بدعي، فإما أن تكون صوفيًا، أو لا تكون، هذا لسان حالهم وعملهم، فلا يستطيع السالك السائر إلى الله معهم اليوم أن ينفك عنهم عملًا مع موافقته لهم تسمية ولفظًا، وهذا حقيقة ما يميل القلب إليه، ويطمئن له في زماننا، خاصة إذا عرفنا أن هناك من يلبس على عوام المسلمين بالتصوف السني، ليأخذهم إلى التصوف وطرقه ومنكراته من حيث لا يشعرون، ومعلوم من قواعد الفقه والعلم أن سد الذريعة واجب ومقدم على جلب المصلحة، هذا إذا كان هناك مصلحة في التقسيم، وإلا فحسب السائر إلى الله والدار الآخرة أن يكون على منهاج الكتاب والسنة في التزكية والهداية، وقد قال النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".

ثانيًا: كما أن من القصد أن ندرك أن الصوفية لم يأتوا بجديد، ولم ينفردوا بطريق في باب الزهد والورع والتزكية، إنما هي من أصول الإسلام ومنهاجه القويم، وسيأتي معنا بيان من كتب فيها من أكابر العلماء والسلف. ومن هنا نعلم أن أبواب التزكية ليست من خصائص الصوفية وحدهم، إنما نشأ اللبس أنهم اشتغلوا بها واعتنوا بها دون غيرهم، مما



أورثهم ابتداعًا في طرقها ووسائلها، وأدخلوا أشياء ومنكرات لا يعرفها الإسلام ولا أهله، فاختلط الأمر على البعض.

رابعًا: مسائل التزكية والسلوك:

أما التحقيق في مسائل "التزكية والسلوك" فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد، كلها منصوصة في الكتاب والسنة، وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف، وهكذا طريق العبادة، عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع، فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف". ثم قال – رحمه الله –: "والصحابة أنفسهم تنازعوا في بعض ذلك – أي دقيق المسائل في الفقه ونحوه – ولم يتنازعوا في العقائد، ولا في الطريق إلى الله التي يصير بها الرجل من أولياء الله الأبرار المقربين".

فالمقصود: أن تزكية النفس وهدايتها من مطلوبات الكتاب والسنة، بالمنهج الذي عليه أهل الكتاب والسنة والتزكية.

خامسًا: التزكية والصلاح بمنهج الرسل مع المجاهدة:

وتحصيل التزكية والصلاح للنفس لا يكون إلا بمنهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، مع المجاهدة لها أبدًا، ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: "فإن تزكية النفوس مُسلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاَّهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليما وبيانا وإرشادا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢]. وقال تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة: ١٥١].

وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم، والله المستعان".

وجاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليِّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".

فدل الحديث على أن حصول التزكية والولاية، ودرجة المحبوبية لله – تعالى - لا تتحقق إلا بأمور:

الأول: كمال التوحيد لله إيمانًا ومحبة وصدقًا وإخلاصًا، لأن التوحيد أول الفرائض والواجبات على العباد.

الثاني: إقامة الفرائض، كالصلاة والزكاة والحج والعمرة والإحسان وغيرها.

الثالث: إقامة المستحبات من النوافل والتطوع، كسنن الصلوات، والصيام، والصدقة، والحج، والعمرة.

وهذه الأمور تتفرع عنها، أو تدخل فيها بقية وسائل التزكية والتطهير للنفس والقلب، وقد قامت الأدلة البينة عليها، وعلى عظيم أثرها في الاستقامة والهداية.

سادسًا: وللسلف الصالح نصيب منها:

وأيضًا فإن ثلة من أكابر السلف - رحمهم الله جميعًا - كان لهم شغل بها واشتهار – أي: أعمال القلب والسلوك –، كالإمام سفيان الثوري، والأربعة كأبي حنيفة، ومالك، وأحمد، والشافعي، وابن المبارك، والأوزاعي، والحسن البصري، وابن تيمية، وابن القيم وله فيه اليد الطولى، وابن رجب صاحب لطائف المعارف، والإمام النووي، وابن الجوزي إمام الوعظ والقلوب، وابن قدامة المقدسي، والقرطبي صاحب التفسير والتذكرة.

وقد كتب ابن القيم – رحمه الله - كتبًا كثيرة ورسائل، منها: الداء والدواء، وروضة المحبين، وعدة الصابرين، وطريق الهجرتين، وإغاثة اللهفان، ومدارج السالكين وغيرها.

www.alukah.net شبكة الألوكة

وكذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في ذلك كتبًا ورسائل منها: الاستقامة، والعبودية، وأمراض القلب وشفائها، وكتاب الإيمان، والتحفة العراقية في الأعمال القلبية، والتي سميت بـ"الآداب والتصوف" أو "علم السلوك"، وقال فيه: "أما بعد: فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب، التي قد تسمى "المقامات والأحوال"، وهي من أصول الإيمان، وقواعد الدين، مثل: محبة اللّه ورسوله، والتوكل على اللّه، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك.. هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين، والناس فيها على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات".

وكذلك اشتغل به بعض المتسننة من سادة المتصوفة: كالجنيد، وسهل التستري، وإبراهيم بن أدهم، والحارث المحاسبي، والحسن البصري، وأبي سليمان الداراني، وعمر بن عثمان الشبلي، ويحيى بن معاذ الرازي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وغيرهم، وربما زلت قدمهم في مسائل أيضًا، ولهذا نقل عن سادتهم ابن القيم في "المدارج" أقوالًا صحيحة، وكونهم صانوا منهجهم في جملته من المخالفة والبدعة برعايتهم للعلم والحديث والفقه:

"قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد بن محمد – رحمه الله –: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول، وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة. وقال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. وقال أبو حفص – رحمه الله –: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال.

وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله –: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة، وقال سهل به عبد الله – رحمه الله –: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء: فهو عذاب على النفس.

وقال ابن عطاء: من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه، وقال: كل ما سألت عنه فاطلبه في مفازة



العلم، فإن لم تجده ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنه بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان. وأُلقى بنان الحمال بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره فلما أخرج. قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع قال: كنت أتفكر في اختلاف العلماء في سؤر السباع". فهذه الأقوال من مثل هؤلاء لها محمل شرعي صحيح في تزكية النفس والقلب، ما أقاموا السنة وتقيدوا بالشرع فيها، وإلا فسبيل النبي ﷺ هو السبيل الأوحد لكل تابع ومحب في تزكية النفس وهدايتها.

سابعًا: أنواع السائرين:

تبين لنا مما سبق أن السائرين أو السالكين نوعان:

النوع الأول: السائرون إلى الله والدار الآخرة على بصيرة وهداية، وهؤلاء هم المتقون المؤمنون الصالحون، الذين علموا حقيقة الكون والوجود، وحكمة الخلق والإيجاد، فعبدوا الله حق العبودية، واتبعوا النور الذي جاءت به الأنبياء والرسل، وأنزلت به الصحف والكتب، فاستقاموا في سيرهم إلى الله علمًا وعملًا، ولم ينحرفوا أو يشركوا، أو يخالطوا البدع والأهواء، ولم ينشغلوا بالدنيا ومتعها وجمعها، بل زهدوا فيها وأعرضوا عنها، وطلبوا الليل للقيام والتلاوة، والنهار للتسبيح والصيام والجهاد، وقطعوا أيامهم في ذكر الله، وبذل الندى والإحسان إلى الخلق، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، فهؤلاء أسعد الخلق بلقاء الله في الآخرة، وأكرم الخلق على الله في الجنة.

وهذا النوع من السير والسلوك ينقسم أيضًا، كما قال ابن تيمية:

"والسلوك سلوكان: سلوك الأبرار أهل اليمين، وهو أداء الواجبات وترك المحرمات باطنًا وظاهرًا، والثاني: سلوك المقربين السابقين، وهو فعل الواجب والمستحب بحسب الإمكان، وترك المكروه والمحرم، كما قال النبي ﷺ: "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

النوع الثاني: السائرون على غير بصيرة وهداية من الله وكتابه ورسوله، وهؤلاء هم أهل الغي والضلال، وأهل الفسوق والعصيان، وأهل البدع والتفرق والطرق والأهواء، الذين سلكوا في سيرهم إلى الآخرة سبيل المجرمين، أو سبل المخالفين، ولم يهتدوا في سبيلهم



www.alukah.net

إلى صراط الله المستقيم، وهديه القويم، فهؤلاء من أهل السير غير أنه سير التائه المتخبط، والضال الحائر، الذي لا يقر على حال، ولا يهتدي بمقال.

وقد حذر بعض الناس "قارون الطاغية" بقولهم: "**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك.. الآية**"، يذكروه أنه سائر إلى الله وراجع، وموقوف للحساب والجزاء، فأعرض عنهم وعن موعظتهم وتذكيرهم بحقيقة الدنيا بقوله لهم: "**إنما أوتيته على علم عندي.. الآية**"، فظن أنه على بصيرة وهداية لكنها من عنده هو لا من عند سيده ومولاه، وهذا هو حقيقة العمى عن سواء الصراط، أن يرى العبد نفسه من أهله، وهو أضل الناس عنه، وأشقى الخلق به.

وهؤلاء لدرهم يأتيهم في ساعة من يومهم أحب وأفضل لقلب أحدهم من ركعة خالصة يتم ركوعها وسجودها، ولو عرض لأحدهم صفقة ينال بها غنًى في الدنيا لا ينفك عنه حتى مماته، وعرض عليه أن يبذل نفسه ويجود بها لله بالجهاد لأعداء الله ورسوله، وينال بها جنة عرضها السماوات والأرض، لقدم العاجلة على الباقية، فهذا حالهم دائمًا في غبن وخسران، وغفلة عن الله والآخرة ونسيان، فأنى يفلحون، وأنى يهتدون.

وقد يقال بالنظر والتأمل، أن هناك نوع ثالث: وهم المذبذبون في سيرهم وسلوكهم، فتارة يكونوا مع أهل السير الصحيح وأهل الاستقامة والاتباع، فتراهم في العبادة والذكر والتلاوة والتسبيح والقيام، وتارة يضعف إيمانهم، وتتخطفهم العلائق، وتكبلهم العوائق من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وحب الدنيا، وتملكهم شهواتهم وملذاتهم في الحياة الدنيا، وتستهويهم الغفلة، وينسيهم الشيطان، ويضلهم الهوى، وهؤلاء كثر في السالكين، يترددون في سيرهم، لأنهم إما أصحاب جهل وغفلة، أو أصحاب هوًى وغي، وهذا النوع حتى يسلم من ذلك، يحتاج إلى تهذيب وتربية حتى يثبت على الصراط، ويسلك سبيل الهدى والرشاد.

فالمقصود: بعد كل هذا أن المؤمن الصادق، والسائر السالك إلى الله والدار الآخرة، المشتاق إلى الجنة ونعيمها، حتى يصح له الطريق، ويتم له المقصود، فلا بد له من معالم تهديه السبيل، ومنارات تدله عليه، وزاد يرتفع به عن حظوظ النفس والهوى والشيطان منه. ولا بد له من بصيرة في علمه وعمله، ليكون من السائرين على بصيرة وعلم وهداية، بعيدًا عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طرق أهل البدع والتفرق، وشطحات غلاة المتصوفة وضلالهم، فلا يخلط في شأن تزكية النفس والقلب والاستقامة والسلوك المشروع، وبين طريق المتصوفة وبدعهم، فيترك النفس بلا زاد ولا تقويم، **ويجمع ذلك أن يعلم في مسألة السير والتزكية أنها تكون بين أمرين:**

ثامنًا: التزكية الصوفية البدعية:

الأمر الأول: تزكية وتهذيب النفس والقلب، لكن بطرق أهل التصوف البدعي، من التبتل والإعراض عن الزواج الذي هو من سنن الأنبياء والمرسلين، وإما بحلقات الذكر والغناء والرقص وهذا من أعظم المنكر، وإما بذكر الله باسمه المفرد "الله، الله، الله،..." وهكذا، أو بالضمير "هو، هو، هو، .." وهكذا، وهذا من عجيب بدعهم، وإما بتركهم أنواعا من المباحات في الطعام والشراب، وإما بتبركهم بالشيوخ والأقطاب، وتقبيل الأعتاب هناك والأخشاب والتراب، أو الطواف حول الضريح والقبر، وإما بلبس الخشن من الثياب والمقطوع دلالة على الزهد والورع، وهذا كله بدع وضلال، لا دليل فيه من الأخبار والآثار، وأما ما فيها من شطحات وانحرافات فهي في جملتها خارجة عن هدي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، وهذا طريق غير حميد، وسلوك غير سديد.

تاسعًا: التزكية السنية الشرعية:

الأمر الثاني: تزكية وتهذيب النفس والقلب، لكن من طريق الشرع والسنة، وما قامت به الأدلة البينة، من رعاية الفرائض المحبوبات لله ورسوله من إقامة التوحيد، والصلاة، والسنن والمستحبات، والإعراض عن الذنوب والكبائر والبدع والسيئات، ومجاهدة النفس على الاستقامة والهداية، مع الصبر، والصدق، والتوبة، وكذلك الذكر المشروع، والصيام، والزكاة، والصدقة، والحج، والعمرة، وبر الوالدين، وبذل الإحسان للخلق، وكف الأذى عنهم، وتحمله منهم، والوفاء بالعهد والوعد، ودوام الاستغفار، والإنابة، والتوكل، واليقين، وتحقيق العبودية، وذكر الموت والفراق، والخوف والرجاء، والشوق إلى الجنة ونعيمها، والشوق إلى رؤية الله في فيها.

وهذا هو سبيلنا إن شاء الله، فلا يقع للسائر الحيرة والاضطراب، ويُهدَى إلى الصواب، فيحصل له السير، ويتم له المقصود إن شاء الله رب العالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "لابد للسالك إلى الله من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه".

www.alukah.net

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "الناس قسمان: عِلْية وسفلة: فالعلية من عرف الطريق إلى ربه وسلكها قاصداً الوصول إليه، وهذا هو الكريم على ربه، والسفلة من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرِمٍ**﴾ [الحج: ١٨]".

* * *

* المقدمة الثالثة: زاد السائر إلى الله والدار الآخرة:

لا بد لكل سائر إلى الله والدار الآخرة من عَلَمٍ يهديه، وزاد من العلم والهدى يقويه، مع حذره الدائم من قطاع الطرق، وآفات السير المهلكة الشاغلة، **فمن ذلك**:

الأول: العلم والعمل: فمن زاده قوة العلم، مع قوة العمل، يقول ابن القيم – رحمه الله –: "السائر إلى الله تعالى والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية.

فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل، فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشى به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشي في الظلمة في مثله من الوهاد والمتالف ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره، ويبصر بذلك النور أيضاً أعلام الطريق وأدلتها المنصوبة عليها فلا يضل عنها، فيكشف له النور عن الأمرين: أعلام الطريق، ومعطبها.

وبالقوة العملية يسير حقيقة، بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإن السير هو عمل المسافر، وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح.

وبقي عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافراً في الطريق قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة، فكلما قطع مرحلة استعد لقطع الأُخرى واستشعر القرب من المنزل فهانت عليه مشقة السفر، وكلما سكنت نفسه من كلال السير ومواصلة الشد والرحيل وعدها قرب التلاقى وبرد العيش عند الوصول، فيحدث لها ذلك نشاطاً وفرحاً وهمة".



الثاني: اليقين والصدق: فيكون السائر إلى الله صاحب يقين وصدق وإخلاص، لأن فيها هدايته وسعادته ونجاته كما قال ابن القيم: "ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفا منه، ورضي به، وشكرا له، وتوكلا عليه، وإنابة إليه".

ويقول أيضًا: "ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ**﴾ فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوّم.

فإذا صدقت عزيمته، بقي عليه صدق الفعل وهو: استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه وأن لا يتخلّف عنه بشيء من ظاهره وباطنه فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمّة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحّة الإخلاص وصدق التوكّل، فأصدق الناس من صحّ إخلاصه وتوكّله".

الثالث: الصبر: فلا سبيل لنيل المطلوب، وحصول المرغوب، والتقرب إلى المحبوب إلا به، فعماد العبادات عليه، وزاد الاستعانة به، وأصل المحبة به، ولهذا مدح الله الصبر في كتابه، ومدح الصابرين، وأثنى عليهم، وبشرهم بالبشرى والسعادة بغير حساب، فهو من أعلى المنازل للسائرين، وأتم السبل الموصلة إلى باب الجنة، وقد أخبر سبحانه أن الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين كما قال سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [هود: ١١]، وقال سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وقال سبحانه: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٦]. وجاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: " مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةَ " رواه البخاري، وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها سألت رسول الله

ﷺ عن الطاعون: "فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله – تعالى – على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمةً للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد" رواه البخاري.

وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه" رواه البخاري. وعن عطاء بن أبي رباحٍ قال: قال لي ابن عباسٍ – رضي الله عنهما –: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة ؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك"، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها. متفقٌ عليه.

وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيراً يصب منه" رواه البخاري.

والصبر درجات وأنواع: فمنه الصبر على الابتلاء والمقدور، والصبر على المطلوب والمأمور، والصبر عن المحرم والمحظور، ومتى كان السائر إلى الله صابرًا محتسبًا فيها جميعًا، راغبًا في الآخرة صادقًا، كان من أهل الصبر والإمامة والبشرى.

الرابع: الثبات على التفرد في الطريق: وكذلك لا يستوحش بتفرده في الطريق، ولا يُضعِف همته بالالتفات خلفه، أو رؤية المثبطين والقاعدين، بل يكون صادق الهمة، صادق الإرادة، ولا يرى غير مقصوده ومراده، قال سفيان بن عيينة: "اسلكوا سبل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها".

وقال بعض الصالحين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب، وقال الفضيل بن عياض –رحمه الله–: "الزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين"، وقال سليمان الداراني: لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي، أي: لو كل من على ظهر الأرض شكوا في الحق ولم يؤمنوا به أو لم يعملوا له ما شككت فيه وحدي، ولبثت أنا وحدي على هذا الحق.



الخامس: ملازمة طريق السنة، وترك طريق البدعة: ومن زاده كمال اتباعه للشرع وملازمة السنة، والحذر من البدع وطرقها، ومجالسة أهلها، وإلا فسيره على غير بصيرة ولا هدى، وقد جاء في الحديث الصحيح: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"، بل وهذا رسول الله ﷺ قد تبرأ منه فقال: "ومن رغب عن سنتي فليس مني".

وسئل الحسن بن علي الجوزجاني: كيف الطريق إلى الله؟ قال: أصح الطرق وأعمرها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولا وفعلا وعقدا ونية، لأن الله يقول: وإن تطيعوه تهتدوا"، فسأله كيف طريق اتباع السنة؟ قال: بمجانبة البدع، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع، بذلك أمر النبي ﷺ بقوله تعالى: "ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا".

وقال أبو الحسن الوراق: لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء، يضل من حيث إنه مهتد. وقد ذكر ابن سعد – رحمه الله – في طبقاته أن أبا بكر – رضي الله عنه – قال: "أيها الناس إنما أنا متّبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوِّموني". وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: "اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، كل بدعة ضلالة". وقد تبرأ ابن عمر من "القدرية" حيث قال لمن سأله عنهم: "فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني".

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله –: "حُكْمي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام". وقال أيوب السختياني: "ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدًا". وقال حذيفة بن اليمان: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها. وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين". وقال الإمام مالك – رحمه الله –: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ، خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: "اليوم أكملت لكم دينكم" فما لم يكن يومئذ دينا فلن يكون اليوم دينا.

وعن سفيان الثوري قال: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع بقلبه شيء يزل به فيدخله النار، وإما أن يقول: والله لا أبالي ما تكلموا به، وإني واثق بنفسي، فمن يأمن بغير الله طرفة عين على دينه سلبه إياه"، وقال سفيان الثوري: "إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها". وقال حسان بن عطية المحاربي: "ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة".

السادس: ملازمة التقوى في السر والعلن: لأن التقوى فيها معنى صيانة النفس والقلب والجوارح عن المعاصي والمحرمات، وعن مواطن الفتن والشبهات، وفيها معنى المراقبة وحفظ جناب الله – تعالى –، والتقوى تكون للقلب، وتكون للجوارح، فيصون العبد نفسه ظاهرًا وباطنًا بتقوى الله وحفظ الحرمات، وقد قال الله – تعالى – آمرًا عباده بها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقوا الله حقَّ تقاته**﴾ [آل عمران ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ [الأحزاب: ٧٠]. بل وجعل التقوى خير الزاد للعبد المؤمن، فقال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ١٩٧]. كما جعلها الله لباس الباطن الأكمل، فقال تعالى: ﴿**يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

وجاء في السنة عن أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ قال: "إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" رواه مسلم. وجاء في دعاء النبي ﷺ عن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى" رواه مسلم، وجاء في مواعظ الشعر والتذكير:

تزود من التقوى فإنك لا تدري	إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا	وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها	وقد قبضت أرواحُهم ليلة القدرِ
وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم	وقد أُدخلت أجسادُهم ظلمة القبرِ
وكم من صحيح مات من غير علةٍ	وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر



وقال الإمام ابن رجب: وأصل التقوى: أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى. وقال بكر بن خنيس: كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي.

وقال الحسن - رحمه الله -: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام. وقال الثوري: إنما سمّوا متقين لأنهم اتقوا ما لا يُتقى"ما لا يُتقى عادة أو ما لا يتقيه أكثر الناس". وقال ابن المعتز:

خَلِّ الذنوبَ صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
واصنع كَمَاشٍ فوق أرض ... الشوك يَحْذرُ ما يرى
لا تحقِرنَّ صغيرةً ... إن الجبالَ من الحصى

وعن الشافعي أنه قال:

يريد المرء أن يعلى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقال معروف: إذا كنت لا تحسن تتقي: أكلت الربا. وإذا كنت لا تحسن تتقي: لقيتك امرأة فلم تغض بصرك. وإذا كنت لا تحسن تتقي: وضعت سيفك على عاتقك أي: شهرت سيفك وقاتلت في الفتنة.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: "التقوى هي ترك ما تهوى لما تخشى" فتترك هواك لأن لك خشية من العذاب ويوم طويل، و قيل أيضاً في التقوى: " أن لا يراك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك". وقال القرطبي - رحمه الله -: الأمر بالتقوى كان عاماً لجميع الأمم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في حديث "اتقِ الله حيثما كنت": "ما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها، قال تعالى: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ"، ووصى النبي ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن فقال: "يا معاذ اتق الله حيثما، كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن". **وقال ابن القيم: "التقوى ثلاث مراتب:**

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرّمات.

الثانية: حميتها عن المكروهات.



www.alukah.net

الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي العبد حياته، والثانية تفيد صحته وقوته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته".

وأما ثمرات التقوى فكثيرة: وقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿**إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُم وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الأنفال: ٢٩].

السابع: دوام الافتقار إلى الله: ومن زاده أن يكون دائم الذل والافتقار إلى ربه في جميع أحواله، بالدعاء والاستعانة به على كل أموره، وهذا من معالم العبودية ولبها، قال شيح الإسلام: وإذا توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه واستغاث به مخلصا له الدين أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له أبواب الرحمة فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذقه غيره، وقال أبو حفص: أحسن ما يتوسل به العبد إلى الله: دوام الافتقار إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال. وقال سهل التستري: ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار.

وقال ابن القيم: وما أتي من أتي، إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه، إلا بقيامة بالشكر وصدق الافتقار والدعاء.

هذا بعض من الزاد، وأعلام الهدى والرشاد في طريق الصالحين، ذكرته على سبيل الإشارة والاختصار، ولنشرع الآن في بيان جملة أخرى من جوامع أعلام الهداية على الطريق للسائرين، وعظيم زاد المتقين المهتدين، المشتاقين إلى جنات رب العالمين، جعلنا الله من أهلها، ورزقنا إصابة الفردوس الأعلى منها، وجواره فيها.







الفصل الثاني:

المعرفة بحقيقة الدنيا والزهد فيها

* حقيقة الدنيا وحكمة الخالق:

من جوامع أعلام الهداية على الطريق للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، معرفتهم بحقيقة الحياة الدنيا، مع تمام الإعراض عنها، والزهد فيها: فمما لا ريب أن الله – تعالى – هو الخالق المعبود، وصاحب الإنعام والجود، "وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ"، وقد خلق الله الجن والإنس لحكمة أرادها، وأقدار كتبها، وآجال ضربها، ودور أعدها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وخلق الحياة الدنيا لتكون محط ابتلاء واجتباء، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. وجعل فيها بقدرته نوازع الخير وأسبابه، ونوازع الشر وأسبابه، وجعل العباد في هذه الدار مخيرين في أعمالهم، واختيار سبيلهم، فمن عمل صالحًا فيها فهو التقي الناجي، ومن عمل السوء، وقارف الشرك والمحرمات، فهي المغبون الخاسر ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: "إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "فأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها، وقلة وفائها وكثرة جفائها وخِسّة شركائها وسرعة انقضائها".

وما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

وقال أيضًا: "لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلبا لحياة الأبد، ولما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلى لهم تذكر "هذا يومكم الذي كنتم توعدون".

www.alukah.net

ولهذا فأصحاب القلوب الحية الطاهرة، يعلمون حقيقة هذه الدار، ويعلمون أن الدنيا دار ابتلاء ومفر، وليست دار دوام ومقر، فشمروا هممهم، وعرفوا سبيلهم، وأصلحوا قلوبهم وسرائرهم وأعمالهم، وأعرضوا عن دار الدنيا إلا فيما ينفعهم في الدار الآخرة عند ربهم، لأنهم استبصروا حقيقة الدنيا وقد بين الله عوارها، وأوضح مكرها بأهلها المغترين بها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨،٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤،١٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٤،٢٥].

هذه هي حقيقة الدنيا كما ذكرها الله – تبارك وتعالى – في كتابه، حتى لا يغتر بها المتقون والسالكون، ولا يميل إليها المحبون والمشتاقون، لأن نعيم هذا الدار لا يدوم، وإذا دام قليلًا فلا يصفوا لأحد، ولا يخلوا من كدر وهم وحزن ونكد، فيوم فيه الفرح والسرور، ويوم تضيق فيه الصدور، ويوم يكون فيه السخاء والغناء، ويوم يكون فيه الفاقة والعراء، ويوم فيه الراحة والبهجة والكثب، ويوم فيه التعب والنصب.

وقد قال ابن القيم: "كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا ينصفه، وعدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى مرد، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعف مستول عليه، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة"، وقال آخر:

وما يعمر الدنيا الدنية حازم ... إذا كان فيها عامر العمر يخرب
وإن علياً ذمها في كلامه ... وطلقها والجاهل الغر يخطب

وقال أبو العتاهية الشاعر:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

وقال آخر:

لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى ... ما شئت من عبر فيها وأمثال



www.alukah.net

وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدّ نفسك من أصحاب القبور".

* الحذر من فتنة الدنيا وغرورها:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". رواه مسلم، وعن المسور بن شداد، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: "ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟"، وجاء في الحديث أيضًا: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"، رواه مسلم.

وفي الحديث الصحيح: "لوْ أنَّ الدنيا تساوي عند اللهِ جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ"، وقال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى، نادمًا بين الخاسرين، وقال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتابًا طويلاً فيه: "أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغِرارة الخيالة الخداعة، وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذر ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيرًا، ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من اللَّه عز وجل عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند اللَّه سبحانه قدر ولا وزن.

ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند اللَّه جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها اللَّه عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرمَ بها؟ ونسي ما صنع اللَّه بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، واللَّه ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه".

وقال ابن القيم: "الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آنات السفر غير واقفة ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير".

هذه حقيقة الحياة الدنيا، والذي لا يعرف هذه الحقيقة عنها مغرور هالك، لأن الكمال فيها عزيز، والنعيم الدائم فيها محال، وأهل الآخرة فيها غرباء، وأهل الباطل والعنت بها أشقياء، ولهذا أعد الله – تبارك وتعالى – أعظم وأكمل وأتم نعيم خلقه الله وأوجده لعباده المؤمنين المتقين، وأولياءه الصالحين المصلحين، وأحبابه المحبين الصابرين، ألا وهو نعيم الجنة دار السلام، نعم دار السلامة والسلام، والنعيم والإنعام، والخلود والإكرام، فهي دار طهرها الله وسلمها من كل آفة ومرض، وكل هم وحزن وكدر، وسلمها من كل العاهات والبليات والمحرمات، ورحم الله القائل:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت	أن السعادة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة	حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
فكم مدائن في الآفاق قد بُنيت	أمست خرابا وأفنى الموت أهليها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها	فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غدٍ رضوان خازنها	والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسلٍ	والخمر يجري رحيقا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة	تسبح الله جهرا في مغانيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها	بركعة في ظلام الليل يحييها



www.alukah.net

* رجال تعلقوا بالآخرة:

ولهذا فإن العقلاء لا يطيلون الأمل في الدنيا، ولا يتعلقون بشيء من زخرفها ومتاعها، لأنهم يعلمون قلة بقائها، وسرعة ذهابها، فكانوا أزهد الناس فيها، وأورع الخلق عنها، ولهذا علقوا قلوبهم بالجنة والدار الآخرة، كما قال الحسن البصري: "والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا؟".

وقال الحسن أيضًا: "أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك، ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه".

وقال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة". وقال بعض العارفين: "إنه ليمر بالقلب أوقات" أقول: "إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب".

* المذموم والمحمود من الدنيا:

فالدنيا مذمومة كلها ما شغلت العبد عن الله، والعمل الصالح، والدار الآخرة، وما نفع منها لأمر الآخرة وأعان عليه فهو المحمود بقدره، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالم أو متعلم". رواه ابن ماجه والبيهقي والترمذي وقال حديث حسن.

وقد فهم بعض الناس من آيات الكتاب ونصوص السنة أن الذم في الدنيا مطلق على العموم، وهذا قول غير سديد، وبعد عن السنة النبوية غير رشيد، فحديث "الدنيا ملعونة ..."



قد أبان وجه الذم فيها، وهو الغفلة والإعراض عن الله – تعالى – وذكره، وعن العمل الصالح، والعلم النافع، وأما ما نفع وأعان وأرشد فهو المرجو والمطلوب.

ولهذا جاء في "مختصر منهاج القاصدين" للإمام محمد بن قدامة المقدسي قوله:

"قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب، وقد وضع اللّه في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة...

فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يأخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها. وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج، وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول اللّه ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس. وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون".

وجاءت آثار عن بعض السلف وأهل الزهد في هذا المعنى كقول يحيى بن معاذ: "كيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب به حياة، أدرك به طاعة أنال بها الجنة"، وقال الحسن: "نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها للجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار".

وقال سعيد بن جبير: "متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكن متاع بلاغ إلى ما هو خير منه"، وقال رجل للتابعين: "لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا".



www.alukah.net

* الطريق إلى الزهد في الدنيا:

وجماع القول فيما سبق أن يقال: أن حقيقة الحياة الدنيا تتمثل في أنها دار ابتلاء واختبار، وأنها سريعة الفناء والانقضاء، وأنها تفتن المغترين بها، وتهلكهم في شعابها، وأنها لا وزن لها ولا قيمة عند الله، وأنها لا تخلوا من الآفات والبليات والمنغصات، وأنها لعب ولهو وتكاثر، وأنها لا تصفوا لأحد، هذه كلها حقائق بينة لذوي الألباب، ولهذا فإن من طلب الدار الآخرة والجنة، فلا يعلق قلبه ونفسه بشيء من الدنيا إلا فيما نفع، وأن يعلم أن العون له في ذلك أن يكون زاهدًا في الدنيا بكليته، لأن الزهد طريق الرسل والأنبياء والصالحين بعدهم.

والزهد: هو انصراف القلب والنفس عن طلب الدنيا والرغبة في متاعها وملذاتها، إلى طلب الآخرة والجنة، والرغبة في نعيمها وحصول السعادة الأبدية فيها، لأن الآخرة أبقى من الدنيا، وكذلك فإن متاع الدنيا وملذاتها منغصة بالآفات والابتلاءات والأمراض، ثم يقطع العبد عنها كلها نزول الموت ومفارقة الدنيا، أما الجنة فليس فيها شيء من تلك المنغصات والآفات، بل طهرها الله وسلمها من كل ذلك. وقد جاء في الحديث عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والله ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!". رواه مسلم.

وقد كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وجاءت سيرته الزكية بشيء من ذلك في مطعمه وملبسه وفراشه وسائر حياته، كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: "لقد رأيت رسول الله يظل يتلوى لا يجد من الدقل ما يملأ بطنه"، بل كانت أبياته لا يوقد في نار لطهي الطعام ثلاثة أهله، ولا يأكلون إلا التمر والماء، حتى فراشه الذي كان ينام عليه، فعن عاشة – رضي الله عنها – قالت: "إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف".

وجاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: "ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهكذا عاش كثير من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم جميعًا - على الزهد والورع، وقد يقال؛ أن زهدهم كان اضطراريًا، فقد كانوا لا يجدون ما يقتاتون به أو يتعيشون منه، ولو وجدوا ما امتنعوا عنه، لأن حقيقة الزهد ليست في ترك ما أحل الله ورسوله ﷺ، بل الزهد فيما شغل عن أمر الآخرة، وعما أمر به الله ورسوله.

ولهذا اختلفت كلمة العلماء والسائرين في حقيقة مسمى الزهد، قال يونس بن ميسرة : "ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك، وأن تكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحكم وذامّكم فى الحق سواء". وقال الفضيل: أصل الزهد: الرضى عن الله عزّ وجلّ، وسئل بعضهم عمن معه مال هل يكون زاهداً ؟ قال: "إن كان لايفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه فهو زاهد". وقال إبراهيم بن أدهم: "الزهد ثلاثة أقسام: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض: فالزهد فى الحرام، والزهد الفضل: فالزهد فى الحلال، الزهد السلامة: فالزهد فى الشبهات".

أما الطريق إلى تحقيق الزهد في الدنيا:

فيكون كما قال ابن القيم في "الفوائد": " لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظر في الدنيا: وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم حال الظفر بها وغم وحزن بعد فواتها فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها، ولا بد ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا، فهي كمال الله سبحانه والآخرة خير وأبقى، فهي خيرات كاملة دائمة وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران، آثر ما يقتضي العقل إيثاره وزهد فيما يقتضي الزهد فيه فكل أحد مطبوع، على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الأجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له وأما لعدم رغبته في الأفضل.

وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق بذلك كان عادما للإيمان رأسا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه، وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين".

* * *





الفصل الثالث:

ذكر الموت ومنازل الآخرة مع قصر الأمل

* حال الغرباء:

ومن أعلام الهداية على الطريق للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، ذكرهم الدائم للموت، مع قصر الأمل، وتذكر منازل الآخرة: فذكر السالك المشتاق للموت والرحيل عن دار الدنيا، وقصر الأمل فيها، وتذكر منازل الآخرة وأهلها، لهو من أعظم السبل الموصلة إلى الجنة ونعيمها، ودلالة على الإيمان بها، والاستعداد لها، كما أنه من أعظم الأسباب الموصلة لزيادة الإيمان في القلب، واستقامة الجوارح على الطاعات، وكف النفس وزجرها عن المعاصي والمحرمات، واستحضار مراقبة الله تعالى حق المراقبة.

فالموت هو: حق مقدر من الله على خلقه، ومفارقة للحياة الدنيا بخروج الروح من الجسد، وانفصال مؤقت عنه، يكون معه شدائد وسكرات للمحتضر، ويبشر عندئذ ببشرى الصالحين والأولياء إن كان مؤمنًا، أو بسوء وعذاب إن كان فاجرًا فاسقًا، ثم تعود له الروح في عالم القبر والبرزخ، فيُقعَد في قبره ويُسأل من الملكين، عن الرب، والدين، والرسول.

ولهذا فالحياة الدنيا كقنطرة للآخرة، والسائر العاقل فيها يعد نفسه فيها من الغرباء الراحلين عنها، ولهذا يكثر من ذكره للموت والفراق، ليكون على حال المسافر الراحل، فلا يتعلق منها بشيء، بل يعلق قلبه بالدار الباقية في الآخرة، فهو غريب على حال الاستعداد والرحيل، ويؤكد هذا ما جاء في الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ"، وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: "إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك". رواه البخاري.

فهذا ولا ريب حال الغرباء عن أوطانهم، أنهم لا يجعلون الدنيا دار مقر، إنما يجعلونها دار مفر، ودار الزاد للآخرة بالتقوى والعمل الصالح، لأن وطنهم الحق هو الجنة، دار



www.alukah.net

السلام والنعيم المقيم لأولياء الرحمن، ولهذا فهم على حذر دائم من الدنيا، وفي استعداد دائم للرحيل والآخرة، ولهذا قائل القائل:

إن للهِ عبــاداً فطنــا ... تركــوا الــدنيا وخــافوا

نظــروا فيهــا فلمــا ... أنهـا ليسـت لحـي وطنـا

جعلوها لجـة واتخذوا ... صــالح الأعمــال فيهــا

وجاء أيضًا عن أنس - رضي الله عنه - قال: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب". رواه البخاري.

وأيضًا عن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به - أو قد أحاط به - وهذا الـذي هـو خـارجٌ أملـه، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا، نهشه هـذا، وإن أخطـأه هـذا نهشـه هـذا". رواه البخاري.

وقال ابن القيم – رحمه الله -:

يـا غـافلا عمـا خلقـت لـه انتبـه ... جـد الرحيـل فلسـت باليقظـان

سار الرفاق وخلفـوك مـع الألـي ... قنعوا بذا الحظ الخسـيس الفـاني

ورأيـت أكثـر مـن تـرى متخلفـا ... فتبعـــتهم ورضـــيت بالحرمـــان

لكن أتيت بخطتي وعجـز وجهــ ... ـل بعـد ذا وصـحبت كـل أمـان

منتك نفسك باللحاق مـع القعـو ... د عــن المسـير وراحـة الأبـدان

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ... مـاذا صـنعت وكنـت ذا إمكـان

* ذكر الموت وزيارة القبور زيادة في الإيمان:

وكذلك؛ ذكر الموت هادم اللذات وزيارة قبور الموتى، مما يزيد قوة الإيمان في القلب ويحقر شأن الدنيا في نظر السالك الصادق، فلا يتعلق قلبه بغير الله والـدار الآخـرة، ولا تلتفت نفسه إلى متاع الدنيا الفانية، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وقد قـال تعـالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]. وقـال - أيضًـا -

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مذكرًا بوعده الحق: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق:١٩، ٢٠].

وقد حوت سورة "ق" من حقائق الموت وحقائق الآخرة الكثير من المشاهد التي تورث القلب خوفًا ووجلاً وقربًا وطمعًا في عفوه وكرمه تعالى، وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر منها على المنبر في يوم الجمعة ولنا فيه الأسوة الحسنة.

قال ابن القيم: "وقد جمعت هذه السورة من أصول الإيمان ما يكفي ويشفي، ويغني عن كلام أهل الكلام، ومعقول أهل المعقول، فإنها تضمّنت تقرير المبدأ والمعاد والتوحيد والنبوّة والإيمان بالملائكة، وانقسام الناس إلى هالك شقي، وفائز سعيد، وأوصاف هؤلاء وهؤلاء، وتضمّنت إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه عما يضاد كماله من النقائص والعيوب، وذكر فيها القيامتين الصغرى والكبرى، والعالمين: الأكبر، وهو عالم الآخرة، والأصغر وهو عالم الدنيا.

وذكر فيها خلق الإنسان ووفاته وإعادته، وحاله عند وفاته ويوم معاده وإحاطته سبحانه به من كل وجه، حتى علمه بوساوس نفسه، وإقامة الحفظة عليه، يحصون عليه كل لفظة يتكلم بها، وأنه يوافيه يوم القيامة، ومعه سائق يسوقه إليه، وشاهد يشهد عليه، فإذا أحضره السائق قال: "هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ": أي هذا الذي أمرت بإحضاره قد أحضرته، فيقال عند إحضاره:"أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ"، كما يحضر الجاني إلى حضرة السلطان فيقال: هذا فلان قد أحضرته، فيقول: اذهبوا به إلى السجن وعاقبوه بما يستحقّه". وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هادم اللذات: يعني الموت". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وصححه الألباني. وقال عمر بن ذرّ في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمّنته القبور من الأجساد البالية، لجدّوا واجتهدوا في أيّامهم الخالية خوفا من يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار، وقال رجل لبعض السّلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

وشهد الحسن جنازة فاجتمع عليه النّاس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم- رحمكم اللّه- فإنّما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالأثر، أيّها المخلّف بعد أخيه إنّك الميّت غدا، والباقي بعدك الميّت في أثرك أوّلا بأوّل حتّى توافوا جميعا قد عمّكم الموت واستويتم جميعا في كربه

www.alukah.net

وغصصه، ثمّ تخلّيتم إلى القبور، ثمّ تنشرون جميعا، ثمّ تعرضون على ربّكم عزّ وجلّ. وعن مطرّف بن عبد اللّه بن الشّخّير- رحمه اللّه- قال: القبر منزل بين الدّنيا والآخرة، فمن نزله بزاد ارتحل به إلى الآخرة، إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

فلا ينبغي أن يغفل المسلم عن ذكر دار مستقره في الآخرة، وعن أنه راحل عن الدنيا، فلا تعتريه الغفلة وهو في سكرة الدنيا والأموال والتجارة غافلًا ناسيًا، وقد بين الله ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمَوالكُم ولا أَولادكُم عَن ذِكرِ اللهِ، ومن يَفعَلْ ذلكَ فَأُولَئكَ هم الخاسِرُونَ، وأنفقوا ممَّا رَزَقْناكُم مِن قَبلِ أَن يأتِي أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَولا أَخَّرْتَني إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالحِينَ، ولن يُؤَخِّرَ الله نَفساً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللهُ خَبيرٌ بمَا تَعمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ – ١١]. وقال تعالى: ﴿حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أعمَلُ صَالحاً فِيما تَرَكتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هو قَائِلُهَا وَمِن ورائِهم بَرْزَخٌ إلى يَوْم يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

فالموت لا محالة منه ولا فرار، فلا بد من الاستعداد له، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوت وَإنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿وما تَدرِي نَفسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وما تَدري نَفسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فإذَا جَاء أَجَلُهُم لا يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً ولا يَستَقدِمون﴾ [النحل: ٦١].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ "أشغلكم حبّ الدّنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتّى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها"، وفي الحديث عن بريدة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها". رواه مسلم.

فزيارة القبور لغرض إحياء الإيمان في النفس، وأخذ الزاد والاعتبار سنة نبوية ماضية، وليست تلك الزيارة البدعية القائمة على شد الرحال، والتوسل والتبتل عند أصحاب القبور، والعكوف عليها وسؤالهم ودعاءهم من دون الله وحده، فمن زار القبور ولم ينشغل قلبه بحالها وحال ساكنيها من الموتى وما هم فيه من النعيم أو العذاب، فما أقسى قلبه، وأغلظ طبعه، وأقل تذكره واعتباره، فكم أخذ الموت من أناس في أشد عافيتهم، وأخذ آخرين في نشوة غيهم وفجورهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net


* الموت عظة المعتبر:

فسلوا الموت عن أناس ماتوا على المنكرات والسيئات، وسلوه عمن أفضوا لآخرتهم وهم يشربون الخمور، ويعاقرون الزنى والفواحش واللواط، وعمن ماتوا وهم على كل محرم من عقوق الوالدين، وأكل الربا، وظلم العباد، وغش الموازين.

وسلوه عمن قبضت أرواحهم وهم بين يدي ربهم، يتلون آياته، ويتعبدون في محراب العبودية، فهم بين قائم وراكع، وتالٍ للكتاب وخاشع، وغيرهم ممن شهدوا الجمع والجماعات، وطافوا بالبيت خاشعين ملبين محرمين لرب السماوات.

وسلوه عن أناس ماتوا في سبيل الله يقاتلون، وعن سنن العلم والهدى والإيمان يدافعون وينصرون، وعن غيرهم ممن عرفوا حقيقة دار الفناء، فقدموا لآخرتهم، وبذلوا للفقراء والمساكين من زكواتهم وصدقاتهم، وأحسنوا للخلق أيما إحسان، حتى جاءهم الموت بروح وريحان، ونعيم من الله ورضوان.

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيا وَزِينَتُها ... وانْظُرْ إلى فِعْلِها في الأَهْلِ والوَطَنِ
وانْظُرْ إلى مَنْ حَوَى الدُّنْيا بِأَجْمَعِها ... هَلْ رَاحَ مِنْها بِغَيْرِ الحنْطِ والكَفَنِ
خُذِ القَناعَةَ مِنْ دُنْيَاك وارْضَ بِها ... لَوْ لم يَكُنْ لَكَ إلا رَاحَةُ البَدَنِ
يَا زَارِعَ الخَيْرِ تحصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً ... يَا زَارِعَ الشَّرّ مَوْقُوفٌ عَلَى الوَهَنِ
يا نَفْسُ كُفِّي عَنِ العِصْيانِ واكْتَسِبِي ... فِعْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللهَ يَرحَمُني
يَا نَفْسُ وَيْحَكِ تُوبي واعمَلِي حَسَناً ... عَسى تُجازَيْنَ بَعْدَ الموتِ بِالحَسَنِ

لقد أخذ الموت الصالحين والطالحين، ولبسوا جميعًا الأكفان، إلا أن منهم من يصير إلى حفر النيران، ويزج في دار الشقاوة والهوان، ومنهم من يصير إلى رياض من نعيم مقيم، وفضل عميم، وعز وعطاء، وسناء من الرحمن وبهاء، ففي أي الدارين غدًا تنزل الأقدام، ويكون المقام! نسأل الله حسن الختام، ودار السلام، آمين.

* * *



www.alukah.net

الفصل الرابع:

الحذر من الآفات والمهلكات

وهذا من أوجب الواجبات على كل مؤمن تقي، وكل سالك سائر إلى الله والدار الآخرة، لأن الآفات والقواطع والمهلكات كثيرة، فإذا لم يأخذ زاده من الحذر والمراقبة، غلبته تلك الآفات والقواطع والملهكات، فحرمته من الوصول، وشغلته عن تحقيق السفر والأصول، **فمن تلك الآفات والمهلكات التي يجب الحذر الدائم منها ما يلي:**

أولًا: الحذر من الشيطان ومداخله:

لأن الشيطان يقطع على السائر إلى الله كل سبيل، ويزين له كل طرق الشرور والأباطيل، ولهذا جاء في القرآن دعوته الواضحة إلي الحذر من كيد الشيطان الرجيم واتباعه، كما بين القرآن في دعوته مدي عداوة الشيطان للإنسان واستكباره عن السجود له، وكيف أن الشيطان يتخذ المكائد والحيل في إغواء الإنسان وإضلاله وإيقاعه في حبائل الشرك والكبائر والبدع والمعاصي وغير ذلك. ذكر الإمام أحمد عن سيرة بنت أبي فاكهة قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر ذريتك ودين آبائك، قال: فعصاه وأسلم، قال: وقعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول، فهاجر وعصاه. ثم قعد له في طريق الجهاد وهو جهد النفس والمال؛ فقال تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال. قال: فعصاه فجاهد قال رسول الله ﷺ: «لمن فعل ذلك منكم كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقا علي الله أن يدخله الجنة وأن غرق كان حقا علي الله أن يدخله الجنة وإن وقصته دابته كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة".

فمن هذا الحديث يتبين لنا مكائد الشيطان التي يكيدها لإغواء ابن آدم وإبعاده عن الحق الذي أمر به ودعي إليه، وحتى يتبين ذلك بوضوح نقف هنا مع مراتب الإغواء والإضلال، التي لا زال الشيطان يحث الخطا حثيثًا حتى يصل بالإنسان إليها وهي ستة مراتب على سبيل الإجمال كما بينها أهل العلم كما يلي:

الأولى: مرتبة الكفر والشرك: فالشيطان يدعوا الناس إلى الكفر والشرك والضلال، ومعاداة الله تعالي ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم، برد أنينه واستراح من تعبه معه، هذا أول ما يريده من العبد، وأول ما يدعوه إليه.

الثانية: مرتبة البدعة: وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها في الدين، قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلي إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلي التي تليها.

الثالثة: مرتبة الكبائر: والكبائر علي اختلاف أنواعها وصورها، من الشرك بالله تعالى، والسحر، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر، والزنى واللواط، وسب الدين، والصحابة، وغيرها.

الرابعة: الصغائر: والصغائر هذه إذا اجتمعت علي عبد ربما أهلكته خاصة إذا تهاون بها ولم يرع لها بالاً وقد قال النبي ﷺ: "إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض فجاء كل واحد بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا واشتتووا".

الخامسة: المباحات: فإذا عجز الشيطان عن الصغائر اشغل العبد بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عقابها فوات الثواب والأجر، الذي فات عليه في وقت اشتغاله بها، وهذه مرتبة يقع فيها كثير من الصالحين والطيبين دون أن يشعر بذلك إلا من رحم ربك.

السادسة: العمل المفضول: فإذا عجز الشيطان عن إشغاله بالمباحات شغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه في الثواب والأجر حتى يفوت عليه الشيطان ثواب العمل الفاضل كأن يسير إنسان في مكان وهو يذكر الله - تعالي - فإذا رأي المنكر، لم يسع إلي تغييره، بل يقول له الشيطان، أنت في ذكر وثواب فلا تشغل نفسك بذلك.

ومن هنا يجب علي السائر إلى الله والدار الآخرة أن يحذر هذا اللعين الرجيم وأن يحتاط منه، وأن يسأل الله أن يحفظه من كيده وشره، وكيف لا يحذر وقد قال الله - تعالي - في القرآن عن تلك العداوة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨]. وقال تعالي: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقال تعالي: ﴿**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ**

www.alukah.net

لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]. وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

*** وأما على جهة التفصيل في مداخل الشيطان للإنسان وأبوابه، فهي كثيرة نذكر منها:**

١ - **الغضب والشهوة**: فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعفت جند العقل هجم جند الشيطان، ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة.

٢ -**الحسد والحرص**: فمهما كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمه.

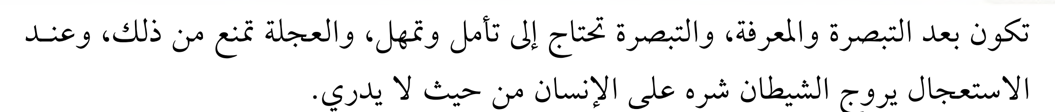
٣ - **الشبع من الطعام**: وإن كان حلالاً صافياً؛ فإن الشبع يقوي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان.

٤ - **حب التزين**: من الأثاث والثياب والدار، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه.

٥ - **الطمع في الناس**: لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ - **العجلة وترك التثبت**: في الأمور، وقال ﷺ: "العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى"، وقال عز وجل: "خلق الإنسان من عجل" وقال تعالى: "وكان الإنسان عجولاً"، وقال لنبيه ﷺ: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه". وهذا لأن الأعمال ينبغي أن





تكون بعد التبصرة والمعرفة، والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل، والعجلة تمنع من ذلك، وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري.

٧ - **التعصب للمذاهب والأهواء:** والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية، فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين.

٨ - **سوء الظن بالمسلمين:** قال الله – تعالى -: "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم" فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه، وكل ذلك من المهلكات".

٩ - **إطلاق النظر:** فيما لا يحل مما حرم الله ورسوله من تتبع العورات، والنظر للمحرمات من النساء والمردان، وإشغال القلب به، وقد نهانا عنه الله ورسولهﷺ، لأن النظرة للمحرم سهم مسموم من سهام إبليس للقلب، فكم أوقعت من قتيل في حبال الشهوات، وفي القرآن يقول تعالى في غض البصر: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، وقال أحد الصالحين: "من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال، لم تخطيء له فراسة".

١٠ - **الخوف على النفس والرزق:** وهذا من خفي حيل الشيطان، لأنه يضعف التوكل واليقين في القلب، والله - تعالى - قد ضمن وتكفل لعباده الأمن والرزق، فلا يخشى العبد من فوت رزقه، أو انتقاص أجله، قال تعالى:﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]. وقال سبحانه: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا**



www.alukah.net

كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

١١ - **الغلو في الدين:** لأن الشيطان لا يدع العبد في سعة من أمر دينه، يعبد الله على قدر استطاعته، وفي حدود ما أمر به، بل يقذف في النفس والقلب أن المحب للدين يبذل له كل شيء، ويستمسك به، ولا يحمل نفسه على الرخص الشرعية، كالفطر في السفر، أو قصر الصلاة، أو ترك الجماعة في العشاء إذا وضع العشاء، أو غيرها، بل عليه بالعزيمة في كل أمر دينه، فيأخذ الشيطان مثل هذا ببعض الحق مع بعض تلبيسه عليه، فيترك رخص الشرع والدين، والله يحب أن تؤتى رخصه، كما تؤتى عزائمه.

فيكون كالثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، حتى أن أحدهم قال: لا أتزوج النساء، وقال الآخر: لا أنام الليل، وقال الثالث: وأنا أصوم الدهر لا أفطر، ولا شك أن هذا من التلبس في الدين والغلو، لأن كمال الدين قائم على صحة المتابعة للشارع فيما أمر، وليس في تزيين الخير للنفس، ولهذا غضب النبي ﷺ وقام يذكرهم ويقول: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.. الحديث"، لأن هؤلاء الثلاثة ومن يفعل فعلهم ظنوا أن فعلهم دين وتعبد وقربى إلى الله.

وهذا محل تلبيس الشيطان على المتعبد، أن يوهمه الشيطان أن فعله عبادة وقربى، ومن هنا دخل على أهل التصوف وطلابه وغيرهم من أهل الفرق والبدع والأهواء، فابتدعوا كثيرًا من البدع والمخالفات، وخالفوا الهدى والسنة، وهم يحسبون فعلهم طاعة وقربى وتدين، حتى بلغ بهم الغلو في شيوخهم وأئمتهم فظنت الشيعة الرافضة أن أئمتهم أهل العصمة والإمامة دون غيرهم، وظنت الصوفية أن شيوخهم هم الأقطاب والأبدال والأوتاد، وهم أهل الكرامات والمعجزات دون غيرهم، وهذا عين الغلو ولبه.

وقد نهى الله أهل الكتاب عن الغلو في الدين وقال لهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وجاء في الحديث الصحيح النهي عنه: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، كما جاء الأمر بالتيسير في موضعه ومتابعة السنة، ففي الحديث: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...".


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا: الحذر من آفات اللسان:

لأن اللسان قد يكون أصلًا في الدلالة على الخير كالذكر وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم، والنصح للمسلمين، والدعوة إلى الله، وقد يكون أصلًا في الدلالة على الشر والفتن، كالغيبة والنميمة بين المسلمين، والكذب على الله ورسوله، والغناء الباطل، وقول الزور، ونشر الفتن بين العباد، فاللسان سيف قاطع، في الخير أو الشر، ولهذا دلت النصوص على وجوب حفظه، والحذر من الطغيان به، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠،٧١]. وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: الآية: ١٨].

وفي الحديث النبوي، عن معاذ – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم؟". وعن سفيان بن عبد الله الثقفى قال: قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ قال: "هذا وأخذ بلسانه".

وعن عقبة بن عامر – قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك ...". وقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت". وعن أبى هريرة – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب". وعن عبد الله بن مسعود – قال: "والله الذي لا إله إلا هو ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لساني". وكان يقول: "يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم". وعن أبى الدرداء – قال : "أنصف أذنيك من فيك وإنما جعل لك أذنان وفم واحدٌ لتسمع أكثر مما تتكلم"، وعن الحسن البصرى: قال: كانوا يقولون: إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه.

ثالثًا: الحذر من الفضول في المباحات:

وإن كان هذا من مداخل الشيطان على النفس والقلب، إلا أنه يجب الحذر منه والاحتراز، لأن انشغال النفس بفضول الكلام وما لا فائدة منه ولا نفع، وفضول النوم، وفضول الطعام والشراب، وكذلك فضول المخالطة للناس وقطع الأوقات معهم بلا فائدة،

www.alukah.net

كل ذلك مما يفسد القلب فسادًا عظيمًا وصاحبه لا يشعر به إلا بعد زمان، ويقظة من غفلة، ولهذا فالسائر يحذر منها، ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله -:

"تركُ فضولِ النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطةِ، والأكل، والنوم، فإن هذه الفضولَ تستحيلُ آلاماً وغموماً، وهموماً في القلب، تحصُرُه، وتحبِسه، وتضيِّقهُ، ويتعذَّبُ بها، بل غالِبُ عذابِ الدنيا والآخرة منها، فلا إله إلا اللَّهُ ما أضيقُ صدَر مَن ضرب في كل آفةٍ من هذه الآفات بسهم، وما أنكَدَ عيشَه، وما أسوأ حاله، وما أشدَّ حصرَ قلبه، ولا إله إلا اللَّه، ما أنعمَ عيشَ مَنْ ضرب في كل خَصلةٍ من تلك الخصال المحمودة بسهم، وكانت همتُّه دائرةً عليها، حائمةً حولها، فلهذا نصيب وافر مِنْ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ [الانفطار: ١٣]، ولذلك نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿**وإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [الانفطار: ١٤] وبينهما مراتبُ متفاوتة لا يُحصيها إلا اللَّه تبارك وتعالى".

وقال ابن مسعود – رضي الله عنه -: "إيَّاكم وفضولَ الكلام، حسبُ امرئ ما بلغ حاجته"، وعن النَّخعي قال: "يُهلِكُ الناسُ في فضول المال والكلام".

وجاء في قوت القلوب: "وينبغي لأهل التوبة أن يحاسبوا نفوسهم في كل طرفة ويدعوا كل شهوة ويتركوا الفضول وهي ستة أشياء: ترك فضول الكلام، وترك فضول النظر، وترك فضول المشي، وترك فضول الطعام، والشراب، واللباس، قال: ولا يقوى على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات". وقال ابن القيم: "مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس، فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأُ من هذه الفضلات، فإنها تطلب لها مصرفاً فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام، ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد". وقال أيضًا: "وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة".

وجاء في سير أعلام النبلاء عن الفضيل بن عياض قال: "خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام، وكثرة الأكل". وجاء في بعض الآثار: "إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة". وقال الفضيل بن عياض: "إذا خالطت فخالط حسن




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيىء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء".

رابعًا: الحذر من آفات النفس والقلب:

وليحذر من آفات وأمراض القلب والنفس وعلائقها، فهي أول ما يجد من العقبات في سيره، كما قال ابن القيم: "فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه وفي ذلك الجبل أودية وشعوب وعقبات ووهود وشوك وعوسج وعليق وشبرق ولصوص يقتطعون الطريق على السائرين".

فتطهير النفس والقلب من آفاتها، دليل على صدق السائر وصحة سيره، والآفات في القلب والنفس كثيرة منها:

آفة العجب بالنفس والصورة والعمل والمنطق والثياب والعلم، وكذلك آفة الكبر بالمال أو الجاه أو القوة أو العلم أو الجمال الظاهر، وآفة الغرور، وآفة حب الدنيا والتعلق بما فيها من التجارات والأموال والجاه وغيرها.

وآفة الرياء في النيات والأقوال والأعمال، والغل، والحقد، والحسد للمسلمين، وآفة الخوف والرجاء مما سوى الله، وآفة تعلق القلب بالشبهات الباطلة، والشهوات المحرمة، من جمع المال، وعشق النساء، والطمع والحرص، وغيرها، كلها الواجب تزكية القلب والنفس منها، وهذا يكون بمراعاة أعمال القلب وأحواله، والتوبة والإنابة، كما سيأتي إن شاء الله – تعالى –، كما تكون تزكيتها بالمحاسبة والمعاتبة والمجاهدة للنفس، لأن النفس قد تكون النفس الأمارة بالسوء والمعصية، أو تكون النفس اللوامة، أو تكون النفس المطمئنة، وهذا بحسب قربها وبعدها من الإيمان وأعماله ومراتبه.

وجوب محاسبة النفس:

ومحاسبة النفس ومجاهدة أمر واجب، لأن المحاسبة والمجاهدة للنفس تثمر فيها دوام المراقبة لله في السر والعلن، وكمال استسلامها لصاحبها، فلا تأمره إلا بخير، ولا تنقاد له إلا في الطاعة والهدى، ولهذا قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ**

www.alukah.net

﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨،١٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران :٣٠].

وقال ابن القيم: "بين العبد وبين الله والجنة قنطرة تقطع بخطوتين: خطوة عن نفسه، وخطوة عن الخلق، فيسقط نفسه ويلغيها فيما بينه وبين الناس، ويسقط الناس ويلغيهم فيما بينه وبين الله، فلا يلتفت إلا إلى من دله على الله وعلى الطريق الموصلة إليه".

وقال الحسن: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة لى قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة". وقال مالك بن دينار: "رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائداً". وعن أبى الدرداء قال: "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً".

خامسًا: الحذر من المعاصي والذنوب:

لأن الذنوب والمعاصي حجاب عن البصيرة والهدى، وران على القلب، فإذا تخلص منها، وعلم عواقبها، واستعان بربه على ذلك، سلم له السير، والتوبة كما سيأتي باب الهداية والخلاص منها، فالذنوب قد تكون من الكبائر، أو تكون من الصغائر، والتوبة منهما واجبة، وترك الذنوب والمعاصي يحتاج إلى معرفة بآثارها على النفس والقلب، كما يحتاج إلى مجاهدة ورياضة، كما يحتاج إلى استعانة وافتقار إلى الله، فهذه ثلاثة أمور معينة على تركها والتخلص منها، والصادق فمن وفق إليها حق التوفيق.

* **فأما العواقب والآثار فليتأملها بعين الخوف، والوجل من سوء الخاتمة، واستحقاق غضب الله عليه، فمن آثار الذنوب والمعاصي على النفس والقلب:** حرمان العلم، والوحشة في القلب، وتعسير الأمور، ووهن البدن، وحرمان الطاعة، ومحق البركة، وقلة التوفيق،وضيق الصدر، وتولد السيئات، واعتياد الذنوب، وهوان المذنب على الله وعلى الناس، ولعنة البهائم له، ولباس الذل، والطبع على القلب والدخول تحت اللعنة، ومنع إجابة الدعاء، والفساد في البر والبحر، وانعدام الغيرة، وذهاب الحياء، وزوال النعم، نزول النقم، والرعب في قلب العاصي، والوقوع في أسر الشيطان، وسوء الخاتمة، وعذاب الآخرة.



قال ابن القيم – رحمه الله –: "طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيده، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاه وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفر منهما إلى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس، وبالله التوفيق".





الفصل الخامس:

ملازمة التوبة الصادقة وكثرة الاستغفار

* خطر الذنوب ووجوب التوبة النصوح:

ومن أعلام الهداية على الطريق للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، مداومتهم على التوبة الصادقة وكثرة الاستغفار: فالذنوب والمعاصي هي أسرع طريق لإهلاك العباد والحرث والنسل، والذنوب قاطعة الطريق بين العبد المؤمن وبين الوصول إلى مراده ومناه، والإنسان في هذه الدنيا كثير الغفلة والخطأ، والشيطان والنفس الأمارة بالسوء والهوى والغفلة كلها قواطع السبيل عن الوصول إلى الجنة، فكم أهلكت أممًا صريعة القبور، وكم أورثت ناسًا غوائل الفتن والشرور، وما حال قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وهامان وأمثالهم منا ببعيد.

كما أن مقارفة الذنوب من أشد ما يحجب السالك عن الله – تعالى – ورحمته وتوفيقه وهدايته، لأنها تستوجب له غضب الله وعقوبته له، ولهذا فإن أعظم طريق للتخلص منها دائمًا يكون بالاستعانة بتقوى الله - تعالى - في الظاهر والباطن، وملازمة التوبة في كل حين، وقد أمرنا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتوبة والإنابة والاستغفار دائمًا، قال ابن القيم: "ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقها العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه، ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: من الآية ٣١]".

*** وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة والاستغفار: قال الله – تعالى -:** ﴿وتُوبُوا إِلَى الله جَميعاً أَيُّه المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة النصوح: كما قال الإمام الشوكاني هي التي: تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب عنه، وصفت بذلك على الإسناد المجازي، وهو في الأصل وصف للتائبين أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالعزم على الترك للذنب، وترك المعاودة له، والتوبة فرض على الأعيان.

وقال قتادة : التوبة النصوح الصادقة، وقيل: الخالصة، وقال الحسن: التوبة النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره. وقال الكلبي: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والاطمئنان على أن لا يعود.

وقال ابن سعدي: قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين، ويسألون الله أن يتمم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح، والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله.

وقال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد لا تلّوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته عزيمته مبادراً بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته أو لحفظ وقته وماله، أو استدعاء حمد الناس أوالهرب من ذمهم أو لئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل.

www.alukah.net

فالأول: يتعلق بما يتوب منه، والأوسط: يتعلق بذات التائب، والثالث: يتعلق بمن يتوب إليه، فنصح التوبة: الصدقُ فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهى أكمل ما يكون من التوبة.

* الاستغفار فوائد وتربية:

كما أن الاستغفار والمداومة عليه من موجبات التوبة ومغفرة الذنوب، والتائب الصادق يخلص نفسه دائمًا إما بالتوبة من ذنب وقع فيه وزلت قدمه، فيكون كما سبق بالندم والإقلاع والصدق وغيره، وإما بملازمة الاستغفار وجريانه على قلبه ولسانه، لأن الاستغفار في ذاته توبة ورجوع، وطلب للغفران الدائم من الله – تعالى –.

*** وكفى بملازمة الاستغفار وكثرته تهذيب وتنقيح للسائر - إلى الله تعالى - ، لأن ملازمة الاستغفار تورث الصادق المستغفر عدة أمور جليلة نذكر منها:**

الأول: إظهار فقره الدائم لله رب العالمين في كل وقت من أوقاته، وذرة من ذراته، فالله هو الرب الغني المالك، المدبر لكل شؤون العباد والخلق، وكلنا محتاج وفقير إليه، والاستغفار هو نوع من الافتقار إليه بطلب العفو عن الزلل منه، وستر القبيح من الفعال والأحوال، وهذا الستر والغفران والعفو لا يقدر عليه إلا الله، فليس لنا من إله سواه يغفر ويعفو ويصفح، سبحانه وبحمده.

الثاني: البصيرة في الإيمان والعلم والعمل وسائر الأمور، لأن الذنوب حجاب عن نور الله وهداه، وحجاب عن رؤية الخير والإيمان، والاستغفار لا ريب هو دواء الذنوب وعلاجها، ونور القلوب وجلاؤها من الران والغفلة والهوى، فبه يستعين التائب بالله، وبه تزول القواطع والأكدار، فالاستغفار يورث المستغفر البصيرة والهدى، فهو على نور من ربه، بل ويفتح الله له في العلم ما لم يفتح به من قبل لولا استغفاره، كما ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان إذا أغلق عليه مسئلة، قام يستغفر ويكثر منه، ويعفر وجهه بالتراب حتى يفتح الله له.

الثالث: فتح أبواب الرزق والعلم وكنوز الأخلاق له، لأن الاستغفار وإن كان توبة، فهو في ذاته استعانة بالله من العبد على إصلاح أحواله وأعماله، وقلبه وجوارحه، وأيما استعان العبد بالله صدقًا، أعانه الله حقًا وفضلًا، وجاء في الحديث أن الاستغفار يرفع الهموم



والغموم، ويذهب الضوائق والشدائد ويأتي بالفرج، لأنه نوع استعانة بالله – تعالى –، وإن كان في الحديث نوع ضعف، إلا أن عموم الأدلة الأخرى يدل عليه.

الرابع: أن يكتب العبد المستغفر من الذاكرين، لأن الاستغفار ضرب من ذكر الله – تعالى – والتعلق به في كل حال وعمل، وكفى بهذا عند الله – تعالى – رفعة للمستغفر، أن يكتب مع الذاكرين لله رب العالمين، وتعرفه الملائكة الكرام بكثرة ما يكتبون له من الذكر والتوبة والاستغفار، ويحبون منه ذلك على جميع أحواله وعباداته.

وهذه الأمور وغيرها من الفوائد التي لم نذكرها تدل على أن الغافل عن الاستغفار في حاله وطلبه للآخرة، إنما هو مقطوع عن الله، مقطوع عن البصيرة والهدى، مقطوع عن أسباب الرزق وطلب العلم النافع، مقطوع عن الذكر والذاكرين، ولهذا فهو يشبه الميت وإن كان حيًا يمشي بين الأحياء، وهذا لا يصح أن يكون حال التائب أو طالب الآخرة والجنة، ولهذا جاء في السنة الصحيحة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً". رواه البخاري، وعن الأغر بن يسار المزني – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرةٍ". رواه مسلم.

فهذا أمر رسول الله وحاله، من ملازمة الذكر والتوبة والاستغفار عشرات المرات في اليوم، وهو الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بحال مريد المغفرة والهداية في سلوكه وسبيله إلى الله والدار الآخرة، ولا عجب إذا استقام حاله بالتوبة والاستغفار أن يفرح الله به، ويقبل عليه، ويحبه ويبصره ويهديه.

كما جاء عن أبي حمزة أنس بن مالكٍ الأنصاري خادم رسول الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرضٍ فلاةٍ". متفقٌ عليه.

وفي رواية لمسلمٍ: "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".

www.alukah.net

وعن أبي موسى عبد الله بن قيسٍ الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "إن الله - تعالى - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها". رواه مسلم، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه". رواه مسلم.

* شروط التوبة:

فإذا وقعت التوبة والإنابة من صاحبها، فلا تتم على كمالها وأحسن حالها إلا بشروطها المتممة لصحتها وقبولها، كما قال الإمام النووي – رحمه الله -: "قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍ؛ فلها ثلاثة شروطٍ:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعةٌ: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي".

* المسارعة بالتوبة طريق الصادقين:

فطالب الآخرة والجنة لا تغفل نفسه عن أمر التوبة والإنابة، وكثرة الاستغفار وجريانه على اللسان والقلب، لأنه لا يدري متى تأتيه منيته، أو تنزل نفسه وجوارحه منازل القبر والآخرة، فربما خرجت روحه وهو مقيم على العصيان والذنوب.

كما قال ابن الجوزي – رحمه الله – في صيد الخاطر: "الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، ولا يدري متى يستدعى؟. وإني رأيت خلقاً كثيراً غرهم الشباب ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل، وربما قال العالم المحض لنفسه:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أشتغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غداً فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع، وينسى أن الموت قد يبغت، فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رئي مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً".

وكان أبو علي الروذباري يقول: من الاغترار أن تسيء، فيحسن إليك، فتترك التوبة، توهماً أنك تسامح في العقوبات... !.

وقال ابن الجوزي: ".. التسويف بالتوبة، فلو حضر العقل لحذر من آفات التأخير، فربما هجم الموت ولم تحصل التوبة، والعجب ممن يجوز سلب روحه قبل مضي ساعة ولا يعمل على الحزم، غير أن الهوى يطيل الأمد، وقد قال صاحب الشرع ﷺ: صل صلاة مودع وهذا نهاية الدواء لهذا الداء، فإنه من ظن أنه لا يبقى إلى صلاة أخرى جد واجتهد".

* الخوف من الذنوب بعد التوبة:

كما أن التائب الصادق لا يقف عند حد التوبة فحسب، وأن الله قد غفر له وعفى عنه، بل من معاني التوبة الخفية على النفس أن يظل خائفاً من ذنبه وجلًا، حتى لا تخدعه نفسه الأمارة بالسوء بأنه قد غفر له ما سلف، فتحمله بإيحاء خفي على مقارفة الذنب بعد الذنب.

قال ابن الجوزي – رحمه الله –: "ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وإن تاب منها وبكى عليها، وإني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة، وكأنهم قد قطعوا على ذلك، وهذا أمر غائب، ثم لو غفرت بقي الخجل من فعلها.

ويؤيد الخوف بعد التوبة أنه في الصحاح: أن الناس يأتون إلى آدم عليه السلام فيقول: اشفع لنا فيقول: ذنبي، وإلى نوح عليه السلام فيقول: ذنبي، وإلى إبراهيم، وإلى موسى، وإلى عيسى – صلوات الله وسلامه عليهم –، فهؤلاء إذا اعتبرت ذنوبهم لم يكن أكثرها ذنوباً حقيقية، ثم إن كانت فقد تابوا منها واعتذروا وهم بعد على خوف منها.

ثم إن الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع، وما أحسن ما قال الفضيل بن عياض – رحمه الله –: واسوأتاه منك وإن عفوت، فأف والله لمختار الذنوب ومؤثر لذة لحظة تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غفر له، فالحذر الحذر من كل ما يوجب خجلاً، وهذا أمر قل أن

www.alukah.net

ينظر فيه تائب أو زاهد، لأنه يرى أن العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة، وما ذكرته يوجب دوام الحذر والخجل".

وقريب من هذا المعنى في الخوف والوجل قول الله – تعالى – عن أهل الجنة وحالهم فيها: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾.

وكذلك قوله تعالى عن أهل الإيمان وحالهم وخوفهم: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾، وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرفون؟ فقال: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات".

قال ابن القيم – رحمه الله –: "والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة – رضي الله عنهم – وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق يقول: "وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن" ذكره أحمد عنه، وذكر عنه أيضا أنه كان يمسك بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد وكان يبكى كثيرا ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل، وأتي بطائر فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد فأسرعى به إلى بن الخطاب، وقال: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد ، وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: "ليتني خضرة تأكلني الدواب".

كما ذكر ابن القيم آثارًا أخرى، لم أقف على تخريجها، فقال: وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى قوله: ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: بل ويل أمي إن لم يغفر الله لي ثلاثا ثم قضى، وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه فيبقى في البيت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أياما يعاد يحسبونه مريضا، وكان في وجهه – رضي الله عنه – خطان أسودان من البكاء، وقال له ابن عباس: مصر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – كان إذا وقف على القبر يبكى حتى تبل لحيته وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وهذا على بن أبي طالب – رضي الله عنه – وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنتين طول الأمل واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق إلا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

وهذا أبو الدرداء كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي يا أبا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت؟

وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل، وكان عبد الله بن عباس كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد وودت أني لم أخلق، وعرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة وإني أخاف الحساب فيها، وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما أتى على هذه الآية: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**﴾ جعل يرددها ويبكى حتى أصبح.

وقال أبو عبيدة بن الجراح: وددت أني كبش فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي، وهذا باب يطول تتبعه، قال البخاري في صحيحه: "باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر". وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا، وقال بن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل.

ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق، وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ؟ يعني في المنافقين فيقول: لا ولا أزكي بعدك أحداً"، فسمعت شيخنا يقول: مراده إني لا أبرىء غيرك من النفاق بل المراد لا أفتح على نفسي هذا الباب فكل من سألني هل سمانى لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأزكيه.

قلت: وقريب من هذا قول النبي ﷺ للذي سأله أن يدعو له أن يكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب "سبقك بها عكاشة"، ولم يرد أن عكاشة أن وحده أحق بذلك ممن عداه من الصحابة، ولكن لو دعا لقام آخر وآخر وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الإمساك أولى، والله أعلم".

* * *





الفصل السادس:

تحقيق العبودية ولزومها

* العبودية الغاية الكبرى:

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، قيامهم على عتبة العبودية لربهم وتحقيقها: فالجنة هي دار السلامة والسلام، تلك الدار التي طالما اشتاقت لها القلوب المؤمنة والأنفس، وبذلت في محبتها ونيل الوصول إليها الغالي والأنفس، ولم تركن إلى الدنيا وزخرفها، وغرورها وبهجتها، ولم تهنأ بلذة العيش بين شعابها وأوديتها، ولم تغفل عن نعيم مقيم لا يحول ولا يزول قد أعده الرحمن لها، ولم تسلك مسالك أهل الكفر والغي والضلال، في اللهث وراء شهواتها المحرمة ونزواتها، ولم تلتفت إلى نعيم ظاهر ذاهب، ولم تأمل متعة من بهرج وزخرف كاذب.

بل كان تعلقها أبدًا، وهمتها حالًا، ولذتها مآلًا، متابعة تحقيق العبودية لربها في جميع أحوالها وأعمالها الظاهرة والباطنة، والقيام على مراعاة القلوب والأعمال والأحوال استقامة وتوحيدًا، واتباعًا لشريعة الرحمن وتمجيدًا، والعكوف على عتبة العبودية والمحبة مجاهدة وتسديدًا.

لأن العبودية لله - تعالى - هي غاية الوجود الإنساني في الحياة الدُّنيا، وقد تعرَّض القرآن الكريم لها، وبَيَّنَ ما اشتملت عليه من المقامات العالية، وأشار القرآنُ إليها في كثيرٍ من آياته، ودعا إليها، وحَثَّ عليها، ومدح أهلَها القائمين بها وبحقوقها، وأثنى بها على أنبيائه ورُسله - عليهم السلام - ووعدهم بالأمن يومَ القيامة من الفزع والأهوال، وبالفوز بجنَّات النعيم في دار الخلود الأبدي، ومن ثَمَّ أمر بها عبادَه الصالحين، بَدْءًا من الأنبياء والمرسلين، وشرعها لهم ولأتباعهم من بعدهم، وأمرَهم بالإخلاص فيها، وجعل دعوتَهم جميعًا إليها: كما قال الله - سبحانه -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال - سبحانه -: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

* دعوة الرسل إلى العبودية:



www.alukah.net شبكة الألوكة

لقد أرسل الله بهذه العبادة جميع الرسل، لأن العبودية نوعان: عبودية عامة: وهي عبودية القهر والخلق والتدبير، وهي حاصلة لكل المخلوقات، وعبودية خاصة: وهي عبودية الأمر والشرع، وهي التي أمر الله بها الأنبياء والرسل، ومن أجلها أنزل الكتب، وخلق الجنة والنار، وهي قائمة على التوحيد والاتباع، كما قال نوح - عليه السَّلام - لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم - عليهم السلام – لأقوامهم، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٤]. وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال أيضًا لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هنا هو: الموت.

كما وصف - سبحانه - ملائكتَه وأنبياءَه بالعبودية، فقال تعالى: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

وجاء في الحديث النبوي في الصحيحين، عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟" قلت: الله ورسوله أعلم؟ قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شينا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا".

* أصول ومقامات العبودية:

ولهذا فقد نوع الله – تعالى - في القرآن مقامات وأحكام العبودية على القلب واللسان والجوارح باطنًا وظاهرًا، وذكر سبحانه منها أنواعًا وصورًا كثيرة، وجاءت بذلك السنة النبوية، وأحكامها متعلقة بها، وتدور معها بحسب الوجوب والاستحباب وغيرهما، إلا أن بعضًا من أهل الرعاية والقلوب انشغلوا بأعمال العبودية في القلب، وقصروا في غيرها، والصواب أن يستقيم الظاهر والباطن معًا، وكل منهما صلاح للآخر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول ابن القيم: "معرفة منازل العبودية ومراتبها من تمام معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق، فقال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحجرات:١٤]، ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٩٧] .. فبمعرفة حدودها دراية والقيام بها رعاية، يستكمل العبد الإيمان ويكون من أهل ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ".

*** كما أن بعض الصوفية الغلاة وهموا في رفع تكاليف أحكام العبودية عن العبد، وظنوا أنها قابلة لذلك، وهذا هو عين الضلال والمروق عن عبودية الله**، ففسروا قوله تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"، بأنه منزلة أو مقام اليقين، وهذا غلط بين، لأن اليقين هنا هو الموت، ورفع التكليف لم يؤثر عن نبي أو رسول قط، فضلًا عمن هم أقل منهم رتبة ومنزلة، وقد قال ابن تيمية: "ومن قال: إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد خروج الخاصة عنها، فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر أو منافق. وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام، بينا غلطه فيه وأنه تقصير في تحقيق هذه المقامات بكلام مبسوط وليس هذا موضعه". ومن مقامات العبودية قول الله – تعالى –، في مقام الحمد والثناء: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الجاثية: ٣٦]، وفي مقام التسليم أو الاستسلام لله يقول سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي مقام التوجه وإخلاص القصد يقول سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الزمر: ١١، ١٢]، وقال تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: ١٤]. وفي مقام تولي الله – عز وجل – يقول تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤].

وفي مقام الدعاء يقول جل ذكره: ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥،٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [يونس: ١٠٦]، وفي مقام

www.alukah.net

العبادة يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وفي المحبة لله نهى عن اتخاذ الأنداد له فيها فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وفي التوكل يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وفي مقام الصِّدق: قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤].

ومنها مقام التوبة والإنابة:كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، أمَّا الإنابة، فقال فيها ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨].

ومنها مقام الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة: كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]. ومنها مقام السمع والطاعة: كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ [المائدة: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: ٤٦].

ومنها مقام الإخْبات: كما قال فيه - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقال - عزَّ وجلَّ - أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

ومنها مقام الزهد في الدنيا ومتاعها: كما قال سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤].

ومنها مقام الورع: كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

ومنها مقام الرجاء والخوف: كما قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ومنها مقام المراقبة: كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

ومنها مقام تعظيم حرمات الله: كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، ومنها مقام الاستقامة: كما قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال سبحانه لنبيِّه ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

ومنها مقام الفرار: كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال تعالى عن موسى - عليه السلام -: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

* تعريف العبادة:

كما أن من معاني العبادة لله: أنْ تكونَ الحياة كلها لله - تعالى - قائمة بأمره، وما شرعه على لسان رسوله ﷺ كما أخبر تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، فلا ذبح، ولا نذر، ولا قربان، ولا تعبد، ولا شيء من ذلك إلاَّ لمستحقه - سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"؛ اهـ.

www.alukah.net

فالعبادة بهذا المعنى:

عبادة شاملة وعامَّة، ففيها الإيمان بالله - تعالى - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره - عِبادة، وفي إقامة الصلوات، وإيتاء الزَّكَوات، وصوم رمضان، وحج البيت، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإماطة الأذى عن الطريق، وذكر الله، والإحسان للناس - عبادة، وفي الحكم بما أنزل الله عبادة، وفي أموالنا واقتصادنا عبادة، وفي العمل الصالح عبادة، وفي كلِّ شؤوننا عبادة؛ لأنَّها عبادة شاملة كاملة من لدن حكيم خبير.

* **وهذه العبادة توقيفِيَّة**: بمعنى أنَّه لا يشرع منها إلاَّ بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يُعَدُّ بدعة مردودة، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد" أي: مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنَّه معصية وليس طاعة، ومبنى العبادة في الإسلام يقوم على قاعدتين مهمتين:

الأولى: ألا يعبد إلا الله وحدَه.

الثانية: ألا يعبد إلا بما شُرِعَ على لسان رسوله ﷺ.

فمن وقع له قادح في تحقيق القاعدة الأولى وهي قاعدة التوحيد واليقين، فلا شك أن قدمه تسير إلى صور من الشرك والضلال، وربما وقع في النفاق والشك، فيكون مشركًا في ربوبية الله أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، أو يكون منافقًا حائرًا مضطربًا في سيره ويقينه بالله والآخرة، ومن أخل بالقاعدة الثانية وهي قاعدة الاتباع، فربما زلت قدمه في الضلال والابتداع في الدين والعبادة.

لأن العبد في سيره وسلوكه يكون قائمًا على أصلين عظمين في مسئلة التوحيد كما تكلم به أهل العلم والتزكية:

الأصل الأول: توحيد المعبود، وهو الله – تبارك وتعالى -، بالإيمان به، ومحبته، وتعظيمه، وخشيته، والتوكل عليه، والثقة به، والإنابة إليه.

الأصل الثاني: توحيد المتبوع، وهو النبي ﷺ، ولا شك أن الوقوع في الابتداع في الدين حجاب عن نور الله والجنة، لأنه مخالفة لصاحب الصراط الذي جاء به، ودل عليه، وهدى الناس إليه، فمخالف التوحيد مشرك ضال، ومخالف الاتباع مبتدع ضال.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجملة القول: أن تحقيق العبودية لله – تعالى – لا يقوم إلا بمعرفة غاية وجـود الإنسـان في هذه الدار، والقيام بحق العبودية بامتثـال توحيـد الله – تعـالى – وتعظـيم أمـره وشـرعه، وامتثال المتابعة للنبي ﷺ بمحبته واتباع سنته، وعلى قدر جهل العبد بهذه القواعد والأصول، يكون النقص والغفلة والانحراف عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، وعلى قدر معرفته واستقامته، يكون الكمال والخشية والإنابة، فإذا صحت المعرفة والعلم والاستقامة في تحقيـق مقامات وأحكام العبودية، تبصر القلب بمعالم الطريق إلى الله.

* * *



www.alukah.net

الفصل السابع:

الاستقامة على أصول صراط الإسلام

* أصول صراط الإسلام:

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، استقامتهم على أصول صراط الإسلام بالعلم والتوحيد والاتباع والمجاهدة: فتلك الأنفس المجاهدة الموقنة، قد لازمت في سبيل مرامها أصول الصراط الأوحد، والسبيل الأمجد، والنعيم الأسعد، وقامت بذلك حق القيام، ورفعت عن نفسها يوم القيامة الحسرة والملام، فكان شغل حالها، وهمس جهادها، وحثيث غايتها يقوم على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: معرفة الله – تبارك وتعالى – إيمانًا ومحبة وتعظيمًا وتوحيدًا، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ومعرفة أمره ونهيه، وحكمة خلقه في كونه، وكونهم خلقوا للعبادة والتوحيد والإيمان به تعالى، قال العز بن عبد السلام –رحمه الله–: "فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل.. وغير ذلك من ثمرات معرفة تلك الصفات". وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب – جل جلاله – ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان". فإذا نقص التوحيد أو ضعف في قلب صاحبه ربما أفضى به إلى الوقوع في صور من الشرك أو الشك، أو النفاق.

الأمر الثاني: معرفة دين الإسلام، الذي هو دين الله – تعالى – وحده، وما جاء فيه من الهدى والإيمان، والحلال والحرام، وما جاء فيه من عقيدة التوحيد الصافية، والعبادة الهادية، والأخلاق الزاكية، والآداب العالية، والمعاملات الوافية، فإذا نقص عن هذا الحد في شيء مما ذكرنا ربما أفضى بصاحبه للمعاصي والكبائر والسيئات، وأنواع من الغش والظلم ، والتخلق بسفاسف الأخلاق وسيئها.



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأمر الثالث: معرفة النبي الكريم محمد ﷺ وكمال الإيمان به، والتصديق لخبره، والاتباع لهديه وأخلاقه الزاكية، وآدابه الصافية، وسنته وشرعته الكافية الهادية، فإذا نقص عن هذا الحد ربما أفضى بصاحبه إلى الوقوع في صور من البدع ومتابعة الأهواء والمخالفات وفرق أهل الضلال. فلا يوصف بعد تحقق هذا المراتب والأصول بما يقدح في إيمانه وتوحيده واتباعه، أو يقع في مخالفتها بوقوعه في صور من الشرك أو النفاق، أو ملازمته للكبائر والذنوب والمعاصي، أو مخالفته للسنة النبوية بالولوج في البدع والأهواء والتفرق.

* معاني الاستقامة وحقيقتها:

ولهذا جاءت الآيات بينات في ذلك، بأن ملازم هذه المراتب حقًا وصدقًا وعملًا هم أهل الاستقامة على أصول صراط الإسلام، وأنهم أهل البشرى بالجنة والنعيم، لكمال توحيدهم وإيمانهم، ودوام استقامتهم، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود: ١١٢].

وكذلك قال – تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].فاستقامتهم هنا كانت قائمة على معرفة الله وتوحيده وأسمائه وصفاته، ومعرفة دينه الذي هو أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ومعرفة رسوله وسنته وهديه، وهذه أصول دين الإسلام الكبرى، فلما تحققت لهم استقاموا عليها، ولم ينحرفوا عنها حتى لقوا ربهم تعالى في الآخرة، قال العلامة ابن سعدي – رحمه الله – في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن": "يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: "**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**" أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة".

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – في تفسيره "فتح القدير": "إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله" أي: وحده لا شريك له "ثُمَّ استقاموا" على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، قال جماعة من الصحابة، والتابعين: معنى الاستقامة: إخلاص العمل لله. وقال قتادة، وابن زيد: ثم استقاموا على طاعة الله، وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا

www.alukah.net

معصيته. وقال مجاهد، وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلاّ الله حتى ماتوا، وقال الثوري: عملوا على وفاق ما قالوا، وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. وقال الفضيل بن عياض: زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية "**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائكة**" من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع، أو دفع ضرر، أو رفع حزن. وقال ابن زيد، ومجاهد: تتنزل عليهم عند الموت، وقال مقاتل، وقتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث. وقال وكيع: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث".

* أهل الاستقامة وأهل الغي بعد الموت:

ولهذا كان امتحان القبر وفتنته مدارها على هذه الأمور، لأن العبد إذا مات وأدخل القبر، أتاه ملكان، فيسألانه؛ من ربك؟ ما دينك؟ من الرجل الذي بعث فيكم؟

فإذا وفق العبد وثبت وأجاب عنها، حصلت له السعادة والنعيم في قبره حتى تأتي الساعة، ليخرج إلى نعيم الجنة دار السلام، وإذا لم يثبت – أعاذنا الله من ذلك – ولم يجب عنها حصل له الوعيد والعقاب، وحق عليه الويل والعذاب، وهذا صحيح ثابت بنصوص الوحي، لا ينكره إلا من عميت بصيرته، وضل سعيه، وكان من الهالكين الغافلين، فقد جاء في القرآن قول الله – تعالى –: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال العلامة ابن سعدي – رحمه الله - في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن":

"يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: "الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي"، "**وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ**" عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجاء في السنة النبوية الصحيحة الثابتة، ما رواه الشيخان في صحيحيهما، عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: "**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**". وفي رواية: عن النبي ﷺ قال: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت"، نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد".

وجاء في الحديث الطويل عند الإمام أحمد، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" مرتين أو ثلاثا، ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان". قال: "فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض". قال: "فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة - فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: "فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن قد صدق فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة". قال: "فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره". قال: "ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي".

www.alukah.net شبكة الألوكة

قال: "وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله"، قال: "فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا – حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له"، ثم قرأ رسول الله ﷺ **"لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"**، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق". فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك: فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة". وفي رواية نحوه وزاد فيه: "إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم. وتنزع نفسه يعني الكافر مع العروق فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن لا يعرج روحه من قبلهم".

* تحقق المجاهدة واليقين عند أهل الاستقامة:

كما أن هذه الأصول أيضًا هي معالم الطريق المستقيم إلى الجنة دار السلام، ومنارات الهدى لكل سالك مجاهد، ولهذا فقد عقد أهل الإيمان والتوحيد عليها البيعة لله – تعالى –، ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**... ﴾، وجاهدوا بذلك حق الجهاد، وصانوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنفسهم وقلوبهم وجوارحهم عن كل عيب ودنس، وطهروا قلوبهم وأعمالهم من كل شرك ونفاق ونجس.

وما حملهم على ذلك كله إلا لما عاينوا الجنة ونعيمها، وطعامها وشرابها، ولباسها وأشجارها، وسقيها وأنهارها، وحورها ودلالها، وغلمانها وخدامها، وسعادتها وبهجتها، وكمالها وخلودها، ولذة العيش بين أكنافها وقصورها، وكمال اللذة والنعيم برؤية الرحمن فيها، معاينة باليقين المعقود في قلوبهم، وبالوصف البين الظاهر في كتابهم، وسنة رسولهم ﷺ.

وهذا هو عين اليقين والإيمان، أن توقن النفس المؤمنة بما وعد الرحمن، وأعد لها في الجنة دار النعيم والسلام، وأن يبلغ الإيمان بها في عالم الملكوت، كمال رؤيتها في العالم المنظور بالعين المجردة والمشهود، فكأن الجنة وما حوته من أنهار وأشجار وقصور وحور، ونعيم وفواكه وسرور، ونشوة ولذة وحبور، أمام العين للناظر، وما تتمناه في القلب والخاطر، مشهود وظاهر، وهذا ورب الجنة من أكمل اللذات، وأتم النعم، وأعظم السعادة.

ولهذا فقد جدوا واجتهدوا وبادروا لتحصيل السبل الموصلة إليها بكل سبيل، واتصفوا بصفات أهلها بالجميل، من معادن الأخلاق والأدب النبيل، وكمل الله هذا الأمر بوصفه لهم في كتابه فقال – تعالى – مبينًا وصفهم وحالهم وأعمالهم: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٢].

فجعل هنا دخول الجنة قائم على تحصيلهم للجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة. وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٢٤،١٢٥]، فجعل هنا إقامة العمل الصالح الذي يجمع بين الإخلاص، والمتابعة، سببًا عظيمًا في دخول الجنة، وتحصيل كمال النعيم فيها.

كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٠-٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وجملة آيات الكتاب تدور في بيان عمل أهل الجنة على تحقيق التوحيد وكمال الإيمان، وتحقيق الاستقامة به بالعمل الصالح الذي هو ثمرة الإيمان في القلب والنفس.

وخلاصة القول: أن مدار عمل المشتاقين إلى الجنة قائم على ثلاثة أمور وهي: كمال الإيمان والتوحيد والمعرفة، وكمال الاستقامة عليها، ودوام المجاهدة لها، وهذه من جوامع المعالم والسبل الموصلة إلى الجنة وتحصيل كرامتها ونعيمها بإذن الله الكريم الوهاب. قال ابن القيم – رحمه الله –:

"ولما علم الموفقون لما خلقوا له، وما أريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من بعض الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول ولا ينفد بصبابة عيش، إنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً. آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف مسراته.

فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها الأرض والسماوات بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار.

وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان بخبيثات قذرات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات سيبات بين الأنام،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنهاراً من خمر لذة للشاربين بشراب نجس مذهب للعقل، مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل جبار عنيد.

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر «لَعَلِمَ أي بضاعة أضاع وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع».

وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعترية الآفات ولا يلحقه الزوال وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال فهم في روضاتِ الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون وبالحور العين يتنعمون وبأنواع الثمار يتفكهون. يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعلمون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون.

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قلب ولا أسنام! إلا أفراد من العباد!

فوا عجبا لها كيف نام طالبها وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها! وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها!

وكيف قَرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها! وكيف قرت دونها أعين المشتاقين!

وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين!

وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين! ".

* * *



www.alukah.net

الفصل الثامن:

حفظ الأوقات والأعمار والحذر من إضاعتها

* الوقت رأس مال المؤمن:

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، مراعاتهم وحفظهم لأوقاتهم وأعمارهم، والحذر من إضاعتها فيما لا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة: فلقد كانوا يحذرون أشدَّ الحذر من هدر الشباب وساعات العمر في غير طاعة واجتهاد، أو إضاعته في الذُّنوب والسيئات، فإنَّ الخاسر يومَ القيامة من يَجد نفسَه بلا حسنات تثقل ميزانه، فيرجو يومَها ويتمنَّى العودة إلى دار العمل، فلا يُجاب، كما أخبر الله - تعالى - عن هذا الصنف في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٤].

كما أنهم يعلمون أنَّ الوقت هو رأس مالهم، فإذا ضاع الوقت والزمان في غير فائدة وثمرة مرجوة، فقد خَسِر الإنسان جزءًا من عمره وشبابه؛ لأنَّ استثمار الأوقات والساعات في طاعة الله ورضاه وعبادته، هو الخير كله، وهو السعادة كلها، كما أنَّ إضاعتها هو الغبن كله؛ فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" رواه البخاري.

وإذا تدبرنا آياتِ القرآن رأينا أنَّ الله قد أقسم بالليل والنهار، والفجر والصبح والضحى، والعصر وغيرها من الأوقات من الليل والنهار، وما ذاك إلا لنعلمَ آيات قدرته في الخلق، واستثمار هذه الأوقات فيما شرعه - سبحانه - قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد سأل الفضيل بن عياض رجلاً، فقال له: كم أتت عليك؟ قال: ستون، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقال القائل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أَسْرَعُ ذَاهِبٍ وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ

ولهذا فالعاقل من طلاب الآخرة يخشى دائمًا من هدر وقته وساعات عمره فيما لا ينفع في يوم الحساب، ويحذر من طول الأمل والغفلة، فقد قال علي - رضي الله عنه -: "إنَّما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طولَ الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق".

وقال عون: "كم من مُستقبلِ يومٍ لا يستكمله، ومُنتظرٍ غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره"، وقال الشاعر:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

* **إنَّ الغفلةَ عن الوقت والاستفادة من الأزمان خطرٌ عظيم**؛ لأنَّ الغفلة آفةٌ قاتلة، وداءٌ عُضال فتَّاك، وطريق يكثُر فيه السالكون إلاَّ مَن رَحِم الله - تعالى -، والمتأمِّل في آيات القرآن يرى أنَّ الله - تعالى - قد أنذر وحذَّر مِن هذا الداء المهلِك، الذي أصابَ الأُمم، وأقعدَها عن السَّبيل الأَمَم، بل وحلَّ بها عقاب الله - تعالى - المعجَّل، كما قال - تعالى - في كتابه لرسوله ﷺ: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يس: ٦ - ٧].

* حال السلف في حفظ الأوقات:

وقد كان سلفنا الصالح يَحرصون على حفظ أوقاتِهم وأيامهم فيما يرجع عليهم بالفائدة في الدُّنيا والآخرة، فهذا أبو الوفا بن عقيل - رحمه الله - يقول: "إنِّي لا يَحل لي أنْ أضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن المذاكرة، وتعطل بصري عن المطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره". وقال ابن القيم - رحمه الله -: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأنَّ إضاعة الوقت تقطعك عن الله

والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها". وقال أيضًا: "وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله فى اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله فى اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان".

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي". وكان ابن الجوزي - رحمه الله - إذا دخل عليه مَن يظن فيه تضييع وقته، كان يشغل نفسه بالقيام ببَرْيِ الأقلام، وقص الأوراق حتى لا يضيع وقته. وقال الحسن البصري: "لقد أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ حرصًا منكم على أموالكم".

* نداء المحب الصادق:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: "هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل، فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب، ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة وليس هو عملا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب، ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين فإن أضعته أضعت سعادتك، ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم".






www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل التاسع:

الحرص على طلب العلم والفقه في الدين

* ضرورة طلب العلم:

ومن أعلام الهداية على الطريق للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، حرصهم على طلب العلم والفقه في الدين وعلوم الشريعة: لأن طلب العلم فريضة واجبة على كل مسلم، كل على قدر استطاعته وضرورته؛ لأَنَّ الله - تعالى - افترض علينا في شريعة الإسلام أركانًا وواجبات، وسننًا ومُستحبات، ولا تتم هذه الفرائض والواجبات إلا بالتعبُّد الصحيح بها، والقيام بحقها، ولا يكون ذلك إلا بطلب العلم بها، ومعرفة شروطها وأركانها، وتمييز الواجبات والشرائع عن بعضها.

وطالب الآخرة والجنة لا يكون سبيله وعقيدته وعبادته على غير منار من علم، أو دليل من وحي، وإلا شارك الجهال جهلهم، وحمل معهم سفاهتهم، ولعب بتوحيده وعباداته أهل البدع والأهواء، كما يفعل كثير من أهل القبور والشركيات، وأهل التصوف المخالف الواقعين في الجهل والبدع وكثير من الخرافات والضلالات، وهم يحسبون أنهم طلاب الآخرة ببدعهم، وأزهد الناس بضلالهم، وأتقى الناس بتأكلهم على القبور وعند الأضرحة والمقامات المزعومة للأولياء والصالحين.

* ونحن إذا تأمَّلنا آيات القرآن، وجدنا أنَّ اللهَ - تعالى - في أول ما أنزل على رسول الله ﷺ يأمرنا بطلب العلم النافع بمعناه الواسع الشامل للعلم الشرعي وغيره ما كان نافعًا؛ فقال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وقال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

كما أنَّ الله - تعالى - فرَّق بين العالم وغيره، وجعل لكل واحد مكانة تليق به، وفضل العالم على غيره؛ فقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩]، كما أنَّ الله - تعالى - جعل لطلبة العلم وأهله درجاتٍ عاليات عنده

www.alukah.net

- سبحانه - فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وصدق القائل:

تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ... وَفَضْلٌ وَعُنْوَانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
تَفَقَّهْ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ ... إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدِ

* أفضل العلوم مطلقًا:

كما أنَّ أفضلَ العلوم على الإطلاق في طلبها والاهتمام بها العلوم الشرعية الدينية، المتعلِّقة بمسائلِ الدين من الإيمان والتوحيد، والفقه في العبادة والمعاملة، والأخلاق والسلوك، وأمَّا سواها فمطلوبة ومُستحبة ما دَلَّت على عبادة الله - تعالى - ومعرفة آياته وقدرته، وما كان المسلمون في حاجة ماسَّة إليها؛ قال الله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين في حديث معاوية - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال: ((مَن يُرد اللهُ به خيرًا، يُفقهه في الدين))، وقال الإمام الذهبي - رحمه الله -:

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالتَّمْوِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلاَفِ ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

وقد اصطلح أهل العلم على تسمية مثل هذه العلوم، فيقال: علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه والفرائض، وعلم العقيدة والتوحيد، وهكذا.

* طلب العلم جهاد:

فطلب الفقه في مسائل الدين من الأهمية والفضيلة بمكان لكل سالك سائر إلى الله؛ لأنَّ الله - تعالى - بَيَّنَ فضيلة أهله في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. قال فيها الإمام الشوكاني - رحمه الله -: "والمعنى: أنَّ الطائفةَ من هذه الفرقة تَخرج إلى الغزو، ومن بَقِيَ من الفرقة يقفون لطلبِ العلم، ويُعلِّمون الغُزاةَ إذا رجعوا إليهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الغزو، أو يذهبون في طلبه إلى المكان الذي يَجدون فيه مَن يتعلمون منه؛ ليأخذوا عنه الفقه في الدين، وينذروا قومهم وقتَ رجوعهم إليهم. وذهب آخرون إلى أن هذه الآية ليست من بقية أحكام الجهاد، وهي حكم مستقلٌّ بنفسه في مشروعية الخروج لطلب العلم، والتفقه في الدين، جعله الله - سبحانه - متصلاً بما دلَّ على إيجاب الخروج إلى الجهاد، فيكون السفر نوعين: الأوَّل: سفر الجهاد، والثاني: السفر لطلب العلم، ولا شكَّ أن وجوب الخروج لطلب العلم إنَّما يكون إذا لم يجد الطالب مَن يتعلم منه في الحضر من غير سفر، والفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية، وبما يتوصل به إلى العلم بها من لُغَةٍ ونحو، وصرف وبيان وأصول".

وكذلك قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأنَّ المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة، والنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - مقيم لا ينفر، فيتركوه وحْدَه، ﴿ **فَلَوْلاَ نَفَرَ** ﴾ بعدما علموا أنَّ النفير لا يَسَع جميعهم ﴿ **مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ** ﴾، وتبقى بقيتها مع النبيِّ ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويتفقَّهوا، فإذا رجع النافرون إليهم، أخبروهم بما سَمِعوه وعلموه، وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنَّه على الكفاية دون الأعيان، ويدل عليه أيضًا قوله - تعالى -: (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣]، فدخل في هذا مَن لا يعلم الكتاب والسنن".

وكذلك قال السعدي - رحمه الله تعالى -: "﴿ **لِيَتَفَقَّهُوا** ﴾؛ أي: القاعدون ﴿ **فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾؛ أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانِيَه، ويفقهوا أسرارَه، وليعلِّموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصًا الفقه في الدين، وأنَّه أهم الأمور، وأن من تعلم علمًا فعليه نشرُه وبَثُّه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإنَّ انتشارَ العلم عن العالم من بركته وأجره، الذي يُنَمَّى له".

* **وكذلك لو تأمَّلنا السنةَ النبوية** لَوَجدنا أنَّ النبي ﷺ بَيَّن فضيلة طلب العلم والفقه في الدين وضرورته، فقد روى الشيخان عن معاوية - رضي الله عنه - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه قال: "مَن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي"، وكذلك جاء بسند حسن وصححه الألباني عند ابن ماجه عن معاوية بن أبي سفيان يحدث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "الخير عادة، والشَّرُّ لجاجة، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين". ولا يفوتنا أن نذكر دعوةَ النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما - بالفقه في الدين؛ حيث

www.alukah.net شبكة الألوكة

قال: "اللهم فقهه في الدين، وعلِّمه التأويل"، فعن عبد الله بن عباس قال: "أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله ﷺ ثم احتلم، فأُمِرَ بالاغتسال، فاغتسل فمات، فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "قتلوه قتلهم الله، ألَم يكن شفاء العِيِّ السؤال" حديث حسن، رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: "قال رسولُ الله ﷺ: "سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله وَأَقْنُوهم – علموهم"، وفي رواية أخرى: "وأفتوهم"، أخرجه ابن ماجه بسند حسن.

وقد روى الشيخان عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: "إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنَّما هي قيعان، لا تُمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقِهَ في دين الله، ونَفَعه الله بما بعثني الله به، فعلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدَى الله الذي أرسلت به".

* طلب العلم طريق إلى الجنة:

وقد جعل طلب العلم والفقه في الدين والشريعة من أعظم السبل الموصلة إلى الجنة وأكملها، كما جاء في الحديث: قال رسول الله ﷺ: "... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه". رواه مسلم، فمِن هذه النُّصوص وغيرها نُدرك فضيلةَ طلب العلم والتفقه في مسائل الشريعة، وضرورة ذلك. وقد قال عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – لكميل بن زياد: "يا كميلُ، العلمُ خَيْرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق"، وقال أيضًا – رضي الله عنه –: "قيمة كلِّ امرئ ما يحسنه"، وإذا كان طلب العلم وتحصيله سبب عظيم لطلب الجنة ونعيمها، فحق لأهل العلم وطلابه أن يسعدوا به ويفخروا، لأن الله قد فتح لهم به سبل الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة، وقد قال الشاعر:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مَـا الْفَخْـرُ إلاَّ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ إِنَّهُـمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَـنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقَـدْرُ كُـلِّ امْـرِئٍ مَـا كَـانَ يُحْسِـنُهُ ... وَالْجَـاهِلُونَ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ أَعْـدَاءُ
فَفُـزْ بِعِلْـمٍ تَعِـشْ حَيًّـا بِـهِ أَبَـدًا ... فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

* إخلاص النية والقصد:

وعلى طالب العلم أن يكون خالص القصد والنية، وينوي بطلبه العلم رفع الجهل عن نفسه، وإصلاح توحيده وعبادته وسلوكه وقلبه، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق الإخلاص لله - تعالى - في طلبه؛ فمتى طلبه سمعة ورياءً، عوقب بنزع بركته، واستحقاق الوعيد بالعذاب عليه، وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث الصحيح المشهور عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" رواه الشيخان.

وروى ابنُ ماجه في سننه بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن تعلم العلم؛ ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوهَ الناس، أدخله الله جهنم"، وقال عبدالله بن المبارك يقول: "أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر".

* غاية العلم العمل:

كما أن طالب العلم والآخرة إذا شغل بطلب أنواع العلوم المحمودة كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه وغيرها، فعليه أن لا يغفل عما هو أهم، أو المراد منها، فإن إصلاح النفس والقلب واستقامة الجوارح بالخشية والإخلاص والتوكل والإنابة والتوبة أهم وأعظم، وهو المقصود بالعلم والمراد بالعمل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين".

قال ابن القيم: "لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين". وقال مالك بن دينار: إذا تعلم العبد العلم ليعمل به كثر

www.alukah.net

علمه وإذا تعلم لغير العمل زاده فجوراً وتكبّراً واحتقاراً للعامّة، وقال أيضًا: إن العـالم إذا لم يعمل بعلمه زَلَّتْ موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا.

وكان عبد الله بن المبارك يقول: كيف يدّعي رجل أنه أكثر علماً وهو أقَلّ خوفاً وزهداً، وقال محمد بن خفيف: عليك بمن يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله.

وقال ذو النون المصري للعلماء: أدْركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علماً ازداد في الدنيا زهداً وبغضاً وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علماً ازداد للدنيا حبا وطلباً ومزاحمة.

وقال بعض السلف: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها النـاس بـأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلمـوا! قالـت أفعـالهم لا تسـمعوا منهم! فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له! فهم في الصورة أدلاّء وفي الحقيقـة قطاع طريق!.







الفصل العاشر:

التخلق بمكارم الأخلاق ومعاليها

* الخلق تهذيب قرآني:

ومن أعلام الهداية على الطريق للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، تخلقهم بمكارم الأخلاق والآداب ومحاسنها: فحقيقة حالهم قائم على تهذيب الأخلاق والسُّلوك، وتزكيتِها وتطهيرها من السَّفاسف والمساوئ، لأنَّ الله تعالى أعلى مكانة الإنسان، وفضَّله على سائر المخلوقات، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فإذا لم تُهذَّب أخلاق الإنسان وتُزَكَّى وفق منهج الله تعالى وتكريمه، صار الإنسان لا وزنَ له ولا قيمة، ولا شأن له ولا رفْعة، بل صار أضلَّ من الأنعام، وطلاب الآخرة والجنة ليسوا كذلك، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* ومن تأمَّل آيات القرآن، وأمعن فيها النَّظَر، ظهر له صور ومَجالاتٌ من دعوة القرآن إلى مكارم الأخلاق ومعاليها، ووجوب التحلِّي بها، ونَعْيه على المخالفين للفضائل وأصولِها، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شرعيًّا يُهذِّب الإنسان، ويَرقى به إلى مدارج الإنسانيَّة الفاضلة. ولهذا أكَّد السلف الصالح على معاني الأخلاق، وتهذيب النفوس؛ فقد قال يحيى بن معاذ: "في سعَة الأخلاق كنوزُ الأرزاق"، وقال الحسَن: "حُسن الخلق: بَسْط الوجه، وبذل النَّدى، وكفُّ الأذى"، ورحم الله القائل:

فأدب النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وهذا كله من آثار الاستجابة الكاملة للدعوة القرآنيَّة الهادية، التي تأخذ الأفراد والجماعات إلى المثالية الفاضلة في الإسلام، وفي ذلك حديث النبي ﷺ: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، رواه أحمد، والحاكم، ورحم الله القائل يومًا:

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ

*** النبي ﷺ المثل الأعلى في الأخلاق:**

ولقد اكتسب النبي ﷺ أخلاقه ومكارمَها من الدعوة القرآنيَّة إليها وإلى التخلُّق بها؛ وضرب لأمته ولكل سائر سالك إلى الجنة ونعيمها المثلَ الأعلى في ذلك، حتى كان خلُقُه القرآنَ، وحتى مدحه ربُّه - سبحانه - بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

وهذا أنسٌ خادم رسول الله ﷺ يقول: "كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس خلقًا"؛ متفقٌ عليه، وعنه قال: "ما مَسستُ ديباجًا ولا حريرًا ألْيَنَ من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شَممت رائحةً قطُّ أطيبَ من رائحة رسول الله ﷺ ولقد خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أفٍّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألا فعلتَ كذا"؛ متفقٌ عليه.

ولنتأمل تواضع رسول الله في رعْيه للغنم كما يرعاه أقلُّ الناس منْزلة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "ما بعث الله نبيًّا إلاَّ رعى الغنم"، فقال أصحابه: وأنتَ؟ فقال: "نعَم، كنتُ أرعى على قراريطَ لأهل مكة"، رواه البخاري.

ثم لنقف مع حِلْم وصبر رسولنا ﷺ على قومه، وكيف أنه أُوتي القلب الرَّحيم، والعقل السليم، والخلق القويم؛ فعن عائشة أنَّها قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحُد؟ فقال: "لقد لقيتُ من قومك، فكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة؛ إذْ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلَ بن كلاب، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي، فلم أفق إلاَّ في قرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرتُ، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قولَ قومك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملَكَ الجبال؛ لتأمره بما شئتَ فيهم"، قال: "فناداني ملَكُ الجبال، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومِك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك؛ لتأمرني بأمرك؛ إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبَين"، فقال رسول الله ﷺ: "بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابِهم مَن يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئًا" متفق عليه.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: "كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْد نجراني، غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذَبه بردائه جذبةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق رسول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ﷺ وقد أثَّر بها حاشية الرِّداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء"؛ رواه البخاريُّ ومسلم.

* الأخلاق في الكتاب والسنة:

ولقد حوى القرآن والسُّنة من النصوص الكثير في الحثِّ على مكارم الأخلاق، وتزكية النُّفوس، وحسن المعاملة للناس، أما من آيات القرآن، فمن ذلك: أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالوفاء بالعهد والوعد، وحِفْظ الأمانات، وترك الكِبْر والخُيَلاء على الناس، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقولِه - تعالى -: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المعارج: ٣٢]، وقال - تعالى -: ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٧]. وكذلك أمره تعالى بصِلَة الأرحام والقُربى، وبَذْل الإحسان إليهم، وكذلك الفقراء والمساكين، وأمره بالتوسُّط في النفقة بين الإسراف والتبذير، والشُّح والتقتير، فقال - تعالى -: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧]، وقوله - تعالى -: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وكذلك أمره تعالى لعباده بالتَّعاون على فعل الخيرات، والصِّدق في القول والعمل، ونبذ النِّفاق وإخلاف العهد مع الله ورسوله، فقال - تعالى -: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال - تعالى -: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [التوبة: ٧٧].

وكذلك قوله - تعالى - في وصف المجتمع المسلم بالآداب الفاضلة، والأخلاق الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢]. ومنها - أيضًا - في وصف المؤمنين الكاملين في

www.alukah.net

عبادتهم، وفي سلوكهم وأخلاقهم، قوله – تعالى –: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

ومنها قوله – تعالى –: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومنها كذلك وجِماعُها في وصف عباد الرحمن، وبيان صفاتهم وأخلاقهم قولُه – سبحانه –: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٧٦]، هذه بعض الآيات القرآنية العظيمة الهادية والداعية إلى التخلُّق بكل خلقٍ نبيل، وأدبٍ كامل؛ والقرآنُ مملوء بعشرات الآيات في هذا الجانب الأخلاقي لمن تتبَّع واستقرأ ذلك بدقَّة.

* **كما دلت السنة النبوية على التحلي بمكارم الأخلاق ومعاليها**: كما في وصف الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالخيريَّة والفضيلة أصحاب الأخلاق الحسَنة؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحِّشًا، وكان يقول: "إنَّ مِن خيارِكم أحسنَكم أخلاقًا" متفقٌ عليه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما جعل حُسن الخلق والمعاملة للنَّاس، من أفضل ما يثقل ميزان المؤمن يوم القيامة؛ فعن أبي الدَّرداء - رضي الله عنه -: أن النبيَّ ﷺ قال: "ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء" رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعَل حسن الخلق طريقًا كريمًا وسهلاً لدخول الجنة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثرِ ما يدخل النَّاس الجنَّة؟ قال: "تقوى الله، وحُسن الخلُق"، وسئل عن أكثرِ ما يُدخِل الناس النار، فقال: "الفَم والفَرْج" رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعل كمال الإيمان متعلِّقًا بكمال الأخلاق والمعاملة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

كما جعل حسن الخلق سبيلاً لِنَيل الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة في الجنة عند الله تعالى؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجةَ الصائم القائم" رواه أبو داود. وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه" حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

كما جعل حسنَ الخلق طريقًا لنيل محبَّة الله ورسوله، والقرب من النبي ﷺ يوم القيامة؛ فعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "إن مِن أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسِنَكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثَّرثارون والمتشدِّقون والمتفيهقون"، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا "الثرثارون والمتشدِّقون"، فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبِّرون" رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وعن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلم، والأَناة" رواه مسلم. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن الله رفيقٌ يحب الرِّفق في الأمر كله" متفقٌ عليه، وعنها أن النبي ﷺ قال: "إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق، ويعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه" رواه مسلم.

www.alukah.net

كما أمر بحسن المعاملة للمخطئ والمسيء في عمله؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بال أعرابيٌّ في المسجد، فقام الناس إليه؛ لِيَقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: "دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماءٍ، أو ذَنُوبًا من ماءٍ؛ فإنما بُعِثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين" رواه البخاري.

كما أمر بالصبر على القطيعة، واحتساب ذلك عند الله، وأمر بالصِّلة والحِلم، وعدَّ ذلك نصرًا وسلطانًا من الله على القاطعين؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصِلُهم ويَقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ! فقال: "لئن كنتَ كما قلت فكأنَّما تسفُّهم الملَّ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك" رواه مسلم.

كما جعل التواصل والتزاور في الله طريقًا لمحبَّة الله تعالى؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: "أن رجلاً زار أخًا له في قريةٍ أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجتِه ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها عليه؟ قال: لا، غيرَ أني أحببتُه في الله تعالى، قال: فإنِّي رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببتَه فيه" رواه مسلم.

كما جعل مصاحبة المؤمن دون غيره، وإطعامَه محبَّةً وصلة من مكارم الأخلاق؛ فعن أبي سعيدٍ الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "لا تُصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ" رواه أبو داود، والترمذي وحسَّنه الألباني.

فهذه وغيرها - كثير - أخلاق وآداب ومحاسن يتزود بها السالك والمشتاق إلى دار السلام، فهي عماد لكل محب، وخلق لكل مجتهد، وسبيل إلى رضوان الله ومحابه، فإذا لم يتخلق بمثل هذه المكارم والأخلاق طالب الآخرة والجنة، ولم يتصف بها قولًا وعملًا وحالًا، فهذا مما يقدح في صدق طلبه، ويضعف همته، ويعيب سلوكه وعمله، لأن الخلق هو ميزان الإيمان في القلب وثمرته، وكيف لا يقدح والنبي ﷺ تكفل ببيت في أعلى الجنة لصاحب الأخلاق الفاضلة، كما جاء في الحديث: "... وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه".

وقد قال الإمام الذهبي – رحمه الله -: "السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في النطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالمعروف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم".

* رياضة النفس على معالي الأخلاق:

كما أن التحلي بهذه الأخلاق يحتاج إلى مجاهدة ورياضة وتصبر، لأن خلع النفس من الأخلاق السيئة لا يحسنه إلا صادق مجاهد، فمن قصر في رياضة أخلاقه وآدابه، ولم يحملها ويحمل النفس عليها، غلبته طباعه المظلمة "إنه كان ظلومًا جهولًا"، ولم ينتفع بها في الدنيا بين العباد، ولم ينتفع بها في منازل العُباد والزهاد يوم المعاد، كما لم ينتفع بالقرب والرفعة والسناء يوم القيامة بجوار النبي ﷺ.

ومن جميل رياضة النفس على مكارم الأخلاق النظر الدائم في سنة رسول الله ﷺ وهديه وسيرته، فيرى بذلك أكمل وأعظم القدوة بالتحلي بمعالي الخلق من الصبر والحلم والصدق والأناة والعفو، وبذل الندى والإحسان إلى الناس، ولهذا قال تعالى في كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكذلك دوام النظر في سير الصحابة والتابعين وسائر الصالحين والسائرين، لأن الأخذ عنهم، والنظر والتأمل في حالهم وأعمالهم، مما يزيد النفس ارتفاعًا ومجاهدة، كالذي ينظر إلى صبرهم فيزداد صبره على مجاهدة نفسه وتهذيبها، والذي ينظر إلى قيامهم وعبادتهم في الليل، يجاهد نفسه أن يحصل بعضًا مما يراه في وصفهم وتعبدهم، بل ويرى نفسه بجوارهم ضعيفة دنية العزم، فيعمل على التشبه بهم، وسلوك طريقهم، ويجد كثيرًا منهم من كان أول حاله مثله، ثم بالمجاهدة والرياضة والتخلق صار من السادة والأكابر والصالحين.





www.alukah.net

الفصل الحادي عشر:

إحياء معاني الإيمان في القلوب والنفوس

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، إحياء "معاني الإيمان والهداية" في القلب والنفس والعمل: لأنها من أعظم زاد المهتدين والسائرين، لأن القلب هو محط الأعمال ومنبعها، وأساسها ولبها، فمتى استقام القلب استقامت له النفس والجوارح من السمع والبصر والبطن والفرج وغيرها، فلا يملكها طالب الآخرة عندئذ إلا بالاستقامة والرعاية، وأما إذا فسد القلب وغوى وعمي، وانطمست عنه أنوار الهداية، وشموس السبيل، فعندئذ يتخبط صاحبه ذات اليمين وذات الشمال، وتتقلب به الأحوال، ولا يستقيم على سبيل، ولا يهتدي بدليل.

ومن هنا فإن رعاية القلب وإصلاح النفس معًا أمر لا ينفك عنه العابد ولا العالم، ولا ينفك عن المؤمن السائر إلى الله والدار الآخرة، الراغب فيها، ولهذا فإن إحياء القلب يكون برعاية أصل حياته وسببه نجاته، وهو "الإيمان"، ورعاية أسبابه التي تمد القلب دائمًا بالحياة والزاد والهدى، وهذا الإيمان له شعب كثيرة متفرعة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق". وقال ابن تيمية – رحمه الله –: "اسم الإيمان يستعمل مطلقاً، ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً... ودخل في ذلك ما قد يسمى مقاماً وحالاً، مثل الصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا، والخشية، والإنابة، والإخلاص، والتوحيد وغير ذلك"، وحتى يحيى القلب بالإيمان، وتشرق فيه شموس الهداية، فلا بد له من أمور نذكر منها ما تيسر إن شاء الله بمنه وكرمه، **فمن ذلك:**

أولًا: مطالعة الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها:

لأن مطالعة الأسماء الحسنى ومعانيها، والصفات العلى وآثارها، مما يهذب النفس، ويجدد الإيمان في القلب، ويوثق الصلة بالله – تعالى –، وقد جاء في القرآن الكريم قول الله

– تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وجاء في السنة الثابتة قول النبي ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). رواه البخاري ومسلم، وقال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: "لله – تعالى – أسماء و صفات جاء بها كتابه، و أخبر بها نبيه – صلى الله عليه وسلم– أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه – تعالى – فقال سبحانه: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

وقال الإمام الصابوني – رحمه الله – في "اعتقاد أئمة الحديث": "ويعتقدون أن الله – تعالى – مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه...لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة فإنه – عز وجل – تعالى عن ذلك". وقال العز بن عبد السلام –رحمه الله–: "فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل.. وغير ذلك من ثمرات معرفة تلك الصفات".

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب – جل جلاله – ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان".

ويقول أيضاً: "ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النعمة موجب للخوف، والتفرد بالإنعام موجب للشكر، ولذلك قال سبحانه: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب: من الآية٤١]".

ونقل الحافظ ابن حجر – في فتح الباري – عن ابن بطال قوله: "طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حالها على عبده، فليعرف العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله كالجبار والعظيم

فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد: نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد: نقف منه عند الخشية والرهبة".

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفي ما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده.. ولو فتشت لرأيت عنده تعتباً على القَدَر وملامة له.. وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك".

*** ويقول أيضًا:**

"وليس هذا مختصاً بأوليته – تعالى – فقط، بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب – سبحانه – يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله – تعالى – على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت، بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء : ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [السجدة:٥].

فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية، لا يخفى عليه منها شيء. وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه –سبحانه – لأصوات عباده على اختلافها


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجهرها وخفائها، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير - جل جلاله - الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته تيقن أنه بمرأى منه – سبحانه –، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه – تعالى - هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يضل ولا ينسى.." إلخ. فلا بد للعبد من مطالعة أسماء ربه – تعالى –، وشهود آثارها، وملازمة الافتقار إلى ربه سبحانه في كل حال، كما قال القائل:

أخي إذا أرهقت هموم الحياة	ومسك منها عظيم الضرر
وذقت الأمرين حتى بكيت	وضج فؤادك حتى انفجر
وسدت بوجهك كل الدروب	وأوشكت تسقط بين الحفر
فيمم إلى الله في لهفة	وبث الشكاة لرب البشر

ثانيًا: ملازمة التفكر والاعتبار:

إن التفكر وإعمال العقل في كثير من الأمور والمسائل، كثيرًا ما يكون داعيًا إلى حسن الفعال، وحسن المآل، والنجاة من الشرور والفتن، وحفظ الدين والنفس عن مواطن الهلاك والغي، لأن الشرع دعانا إليه في كثير من النصوص القرآنية والنبوية، لأن فيه حياة للقلب

والنفس، بإحياء المعاني الإيمانية والشرعية، فهو عبادة نافعة جامعة، وإذا بلغ التفكر بالقلب والنفس مبلغًا فإن له أثرًا بينًا في إيقاظ القلب وهدايته، لأن التفكر لا يقف عند نوع بعينه، بل يتعدد ويختلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر والاعتبار، مأمور به مندوب إليه"، وقال أبو سليمان الداراني: إني لأخرجُ من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عَلَي فيه نِعْمَة، أوْ لِي فيه عِبْرَة. وعن الحسن البصري أنه قال: تَفَكُّر سَاعَة خير من قيام ليلة. وقال الفُضَيل: قال الحسن: الفكرة مِرْآة تريك حَسنَاتك وسيئاتك. وقال ابن كثير، قال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك، وربما تمثل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكْرَةٌ ففي كل شيء له عبرَة

وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألْهَمُ للفكرة، وطولَ الفكْرة دليل على طَرْق باب الجنة. وقال وهب بن مُنَبِّه: ما طالت فكرة امرِئ قط إلا فهم، وما فهم امرؤ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله، عز وجل، حَسَن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة.

ويروى عن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان في تَفكُّر، خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن: يا ابن آدم، كُلْ في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفَّس للفكرة. وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطَمَسَ مِنْ بَصَرِ قلبه بقدر تلك الغَفْلَة. وقال بِشْر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه. وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحُسَين بن عبد الرحمن:

نزهَة المؤمن الفكَرْ لذّة المؤمن العِبرْ

*** وللتفكر أنواع، فمن أنواعه:**

التفكر في الآيات الكونية: كخلق السماوات وارتفاعها، والأرض وجبالها ووديانها، واختلاف الليل والنهار، والنجوم وأبراجها، والكواكب ومدارها، والبحار والأنهار وأمواجها، والزهور وألوانها، والنباتات وأنواعها، والفواكه واختلافها، والملائكة والجن والإنسان وتكوينه، والحشرات والزواحف والطيور بعوالمها، وسائر الآيات الكونية، التي هي من عظيم صنعة الله في الكون والنفس، والدليل على وجود الله ووحدانيته وكماله، ولهذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاء في القرآن: قول الله – تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠،١٩١].

وقال تعالى في جوامع آياته، وبديع خلقه وصنعه: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ١٩-٢٧].

ويروى أن أبا حنيفة – رحمه الله – كان سيفًا على الدهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه، فبينما هو يوما في مسجده قاعد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة، وهموا بقتله، فقال لهم: "أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم" فقالوا له: هات، فقال: "ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال وقد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها. هل يجوز ذلك في العقل؟

قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: "يا سبحان الله" إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟ فبكوا جميعا وقالوا: "صدقت" وأغمدوا سيوفهم وتابوا.



www.alukah.net

وقيل للشافعي – رحمه الله –: ما الدليل على وجود الله؟ فقال: "ورقة الفرصاد (التوت) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم، قالوا نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء، فينعقد في نوافحها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟" فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وهم سبعة عشر.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال: "ها هنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالإبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح (يعني البيضة إذا خرج منها الفرخ)". وقيل لأعرابي، ما الدليل على وجود الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير؟

التفكر في آيات القرآن:

التفكر في آيات القرآن وعظمته وجلاله، وكيف أن الله جعله الكتاب المحفوظ دون سائر الكتب، وكيف أنزله على رسوله، والغوص في معانيه، واستخراج أسراره وأحكامه، وكيف جعله الله هداية للنفوس، وشفاء من أمراضها، وسبيلًا لنجاتها وسعادتها، وجامعًا لمصالح الناس في المعاش والمعاد، كما قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]، وقال الله – عز وجل –: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس:٥٧].

وجاء في الحديث عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبد الله بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: "يا عائشة ذريني أتعبد لربي"، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: "أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: "إن في خلق السماوات والأرض".





إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن الواجب على المؤمن أن يتدبَّر هذا القرآن العظيم، وأن يتفهَّم آياتِه ومعانيَه، وأن يعيش معه برُوحه وفِكْره ووجدانه؛ كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال أيضًا: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، قال العلامة ابن سعدي - رحِمه الله -: "أي: فهلا يتدبَّر هؤلاء المعرضون القُرآن كتاب الله، ويتأمَّلونه حقَّ التَّأمُّل، فإنَّهم لو تدبَّروه، لدلَّهم على كلّ خير، ولحذَّرهم من كلِّ شرّ، ولملأ قلوبَهم من الإيمان، وأفئِدتَهم من الإيقان، ولأوْصلَهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطَّريق الموصّلة إلى الله، وإلى جنَّته ومكملاتها، ومفسداتها، والطَّريق الموصّلة إلى العذاب وبأيّ شيءٍ تُحْذَر، ولعرَّفهم بربِّهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوَّقهم إلى الثَّواب الجزيل ورهَّبهم من العقاب الوبيل".

ولا يَخفى علَيْنا ما للتدبُّر من آثار وفوائد، وقد كان رسولُ الله ﷺ يتدبَّر القرآن، ويردِّدُه وهو قائم باللَّيل، حتَّى إنَّه في إحْدى اللَّيالي قام يردِّد آيةً واحدةً من كتاب الله، وهو يصلِّي لَم يُجاوزْها حتَّى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه أحمد، وهذا يدلّ على وجوب تدبُّر القرآن الكريم ومُعايشة آياتِه، وفهْم معانيه وما تدْعو إليْه.

والقرآن فيه توْحيد، ووعْد ووعيد، وأحكام وأخبار، وقصص وآداب، وأخلاق وآثارها في النَّفس متنوّعة، وقد كان صحابة النَّبي ﷺ يقرؤُون ويتدبَّرون ويتأثَّرون، وكان أبو بكر - رضِي الله عنْه - رجُلاً أسيفًا رقيقَ القلب، إذا صلَّى بالنَّاس وقرأ كلام الله - تعالى - لا يتمالَكُ نفسَه من البكاء، ومرض عُمر - رضِي الله عنْه - من أثر تلاوة قوْل اللَّه – تعالى -: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها والله أعلم".

وقال عثمان بن عفَّان - رضي الله عنْه -: "لو طهرتْ قُلوبُنا ما شبِعَت من كلام ربِّنا"، وقُتِل شهيدًا مظلومًا ودمُه على مصْحفه، وأخبار الصَّحابة في هذا كثيرة.

الجديد و طهرة NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net شبكة الألوكة

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمطلوب من القُرآن هو فهْم معانيه والعمل به، فإن لم تكُن هذه همَّة حافظه لم يكُن من أهل العلم والدين"، وصدق القائل:

فشمر ولُذْ بالله واحفظ كتابه ... ففيه الهدى حقًا وللخير جامع

هو الذخر للملهوف والكنز ... ومنه بلا شكٍ تُنال المنافع

به يهتدي من تاه في معمعة الهوى ... به يتسلى من دهتهُ الفجائع

التفكر في الدار الآخرة:

لأن الناس جميعًا صائرون إليها، فإما إلى جنة ونعيم أبدًا، وإما إلى نار وحميم أبدًا، هذا من العموم، فليتفكر أين سيحط رحاله بعد نزول الموت به؟ وليتفكر العاقل في سكرة الموت وما فيها من شدائد وأهوال؟ وماذا يكون في القبر من الرياض والحبور، أو الجحيم والسعير؟ قال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها، وكان يبكي عند ذلك حتى يُرْفع صَريعا من بين أصحابه، قد ذهب عقله. وقال عبد الله بن المبارك: مَرَّ رجل براهبٍ عند مَقْبرة ومَزْبَلَة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كَنزين من كنوز الدنيا لك فيهما مُعْتَبَر، كنز الرجال وكنز الأموال.

ثم ليتفكر الإنسان أي الدارين ستنزل أقدامه، وأين محله وراحته، وكيف حاله عند بعث الناس من قبورهم؟ وهل سيأخذ كتابه باليمين أم بالشمال من وراء ظهره؟ وهل يرد على الحوض الأعظم يوم الحشر والعطش، أم يقال له سحقًا سحقًا؟ وهل يخف عند الميزان عمله وكتابه فيكون من الأشقياء، أم يثقل ميزانه ويكون من السعداء؟ وكيف يكون مناقشة حسابه بين يدي ربه؟ وكيف سيرد مظالم العباد التي اقتطعها منهم في دار الدنيا؟ ثم يتفكر في مروره على الصراط، وورده على النار، فهل سيكون مخدوشًا مكدوسًا فيها، أم ناجيًا مسلمًا منها؟

ثم يتفكر هل يصير إلى الجنة ويكون من أهلها فيدخلها وينعم بها ويسعد، ويرى قصورها العالية، وأنهارها الجارية، وحورها الصافية، وسائر ألوان النعيم والخلود فيها؟ أم سيصير إلى عذاب النار وجحيمها، فتنصهر أعضاء جسده، وينغص عليه عيشه وطعامه



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشرابه، ويسلسل فيها بالأغلال والسلاسل، ويجري عليه من عذاب السموم، ولباس القطران، وطعام الزقوم، وشراب الحميم والغسلين؟ عافنا الله منها.

والقرآن قد بين لنا الدارين، وذكر لنا الحالين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ١٣-٣٧].

فالتفكر في آيات الله الكونية، وآيات القرآن الشرعية، والدار الآخرة، مما يحيي القلب بالإيمان، ويوقظ فيه عظمة الله ومراقبته، ومجاهدة النفس على تعظيم أمره ونهيه، والوقوف عند حده، لأنه الرب المالك القادر القاهر، ناصية الخلق كلهم في قدرته، وأرزاقهم عليه، فكيف يستطيع المؤمن الوجل الصادق أن يعصى أمره، أو يقارف نهيه، وهو يعلم عظمته وجلاله وقدرته. قال الحافظ ابن الحنبلي: "والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وفي أمور الآخرة، وما فيها مِنَ الوعد والوعيد ونحو ذلك مما يزيد الإيمانَ في القلب، وينشأ عنه كثيرٌ من أعمال القلوب، كالخشية، والمحبَّةِ، والرَّجاء، والتوكُّل، وغير ذَلِكَ، وقد قيل: إنَّ هذا التفكُّر أفضلُ من نوافل الأعمال البدنية".

ثالثًا: مراعاة أعمال القلوب:

وأعمال **القلوب هنا هي**: عبادات القلب وهي كثيرة متنوعة، كالإيمان، والمحبة والإخلاص، والتوكل، والإنابة، والخشية، والخوف والرجاء، وغيرها، والحذر من مفسدات القلب من أضداها كمحبة غير الله، والشرك به، أو الشك أو النفاق، أو الغل والحقد والحسد، وغيرها من الأمراض المفسدة للقلب، لأنه بصلاح القلب تستقيم الأعضاء والجوارح، وبفساده تغوى الأعضاء والجوارح، لأن القلب هو ملاكها وأساسها، والجوارح

www.alukah.net شبكة الألوكة

معبرة في الحقيقة عما يحب القلب أو يكره، وعما يشتهي أو يترك، ولهذا جاء في القرآن قوله تعالى: "إلا من أتى الله بقلب سليم"، وسلامة القلب تكون بخلوصه من الأدران والعلائق الشاغلة عن الله والدار الآخرة، من حب الشهوات، والتعلق بالمحرمات، أو بتلك الشبهات المفضية إلى الشك والنفاق. ولهذا فإن القلوب تتنوع بحسب أحوالها، فيقال القلب السليم، والقلب المريض، والقلب الميت..

قال ابن القيم – رحمه الله – : "**فالقلب الصحيح**: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿**يومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]. والسليم هو السالم، وجاء على هذا المثال لأنه للصفات، كالطويل والقصير والظريف؛ فالسليم القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له، كالعليم والقدير، وأيضا فإنه ضد المريض، والسقيم، والعليل.

وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة غير الله معه ومن خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة، وتوكلا، وإنابة، وإخباتا، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله...

والقلب الثانى: ضد هذا، وهو القلب الميت الذى لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالى إذا فاز بشهوته وحظه، رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حبا، وخوفا، ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما؛ وذلا. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر فى تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور.



والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة؛ فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه:

ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب؛ وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة:

ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا، وأدناهما إليه جوارا".

*** وأما أعمال القلوب التي يجب على السائر المحب الاعتناء بها فمثالها:**

الإيمان: لأن الإيمان أصل كل الأعمال ولبها، ولا يتحقق الإيمان إلا بكمال التوحيد لله – تعالى –، ومعرفته بربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأن يعرف الله بكماله وجماله وجلاله وعظمته وقدرته وحكمته وعلمه وعلوه سبحانه وبحمده.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة يشمل ثلاثة أمور وهي: الاعتقاد الجازم بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح والأركان، كما جاء عن الإمام الشافعي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة": "وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزيء واحد من الثلاثة عن الآخر".

وهذا الإيمان يزيد وينقص، وزيادته تكون بعمل الطاعات والصالحات، ونقصه يكون بالمعاصي والزلات، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾ [المدثر:٣١]. وقال تعالى : ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة:١٢٤ – ١٢٥]. وقال تعالى أيضًا: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال:٢]، وكما قال الإمام القحطاني – رحمه الله –:

إِيمَانُنَا بِاللهِ بَيْنَ ثَلاثَةٍ ... عَمَلٍ ، وَقَوْلٍ ، وَاعْتِقَادِ جَنَانِ

وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى ... وَكِلاَهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ



www.alukah.net

كما أن هذا الإيمان له شعب وأركان، كما في قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها، قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" رواه مسلم.

كما أن الإيمان له حلاوة تقع في القلب والنفس، كما قال ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" متفق عليه.

وكذلك الإيمان له طعم في القلب والنفس، كما قال رسول الله ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً" رواه مسلم.

ولهذا فإن من تحقق فيه هذا الإيمان اعتقادًا وقولًا وعملًا، فهو أسعد الناس في مجموع حاله وتقلبات أموره، سواء أكانت من الابتلاءات والأقدار الجارية والتمحيص، أو كانت من السراء والنعماء، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له" رواه مسلم.

والإيمان أيضًا له الأثر الكبير في صلاح العبد واستقامته، وفي تحقيق الصبر والثبات له في الدارين، وفي زيادة اليقين والتوحيد في القلب، وفي الطمأنينة النفسية، وتحقيق الأمن والأمان، وفي بناء الفرد والمجتمع معًا، وفي تهذيب السلوك والأخلاق، وفي تهذيب الغرائز والشهوات في مسارها القويم، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢]. وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ [سورة آل عمران: ١٧٤،١٧٣]. وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢].

فالإنسان إذا لم يقع الإيمان في قلبه حق الموقع، فهو إنسان بلا حياة، بلا بصيرة، بلا هداية، يتخبط في الدنيا ذات اليمين وذات الشمال، فمرة يكون صالحًا على قدر إيمانه، وتارة يكون مترددًا بين أهل الأهواء والبدع، وتارة يكون مترديًا مع أهل الفتن والشهوات الجامحة العاصفة. فلا بد من إيقاظ النفس الغافلة بمعالم الإيمان الحق، ولا بد من رفع الغشاوة عن القلب العمي المتخبط في الشهوات والمحرمات، ولا بد من طريق يرشد العبد ويبصره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويهديه، وليس ذلك إلا بالإيمان بالله والرضا به وعنه، ومحبته والإنابة إليه، وصدق الخوف منه، والرجاء في فضله وجوده وعطاءه. وجاء في الحديث عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم". روه الحاكم والطبراني وصححه الألباني.

المحبة: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، المحبة، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلى المُؤْمِنِينَ أعزَّة عَلى الكافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي الحديث، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني، أعطيته، ولئن استعاذني، لأعيذنه" رواه البخاري. وجاء في الحديث، عن النبي ﷺ قال: "إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" متفقٌ عليه.

الإخلاص: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، الإخلاص في النية، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾ [الحج: ٣٧]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٢٩]. وصح في الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم ، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه مسلم و غيره .

المراقبة: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، حسن المراقبة لله في السر والعلن، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩ - ٢٢٠]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم**﴾ [الحديد:٤]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى**

www.alukah.net

عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٦]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. وجاء في حديث جبريل الطويل: قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

اليقين والتوكل: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، اليقين بوعد الله، وكمال التوكل عليه، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وَقالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣ - ١٧٤].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]: أي كافيه. وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وصح في الحديث: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصا وتروح بطانا".

الخوف: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، الخوف من عقوبة الله وغضبه، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]. وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢]. وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمان: ٤٦].

وجاء في الحديث: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدر أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة


وعن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجلٌ يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحداً اشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً" متفق عليه. وعن عدي بن حاتمٍ، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: "ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمانٌ، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرةٍ" متفقٌ عليه.

الرجاء: ومن أعمال القلب التي يجب رعايتها وصيانتها، الرجاء في رحمة الله وعفوه، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور**﴾ [سبأ: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [طه: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف نب كذا؟ فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته" متفقٌ عليه. وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" رواه مسلم.

رابعًا: ملازمة ذكر الله – تعالى – على جميع الأحوال:

وكذلك يحتاج في بناءه الإيماني الروحي إلى الذكر وقد قال تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨]، وقال الله – تعالى -: ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿**وَاذكُروا الله كَثيراً لَعَلَّكم تُفْلحونَ**﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسكَ تَضَرُّعاً وخيفةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَولِ بالغُدُوِّ والآصَالِ، وَلا تَكُنْ مِنَ الغَافلينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكرةً وَأَصِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

www.alukah.net

وليعلم المسلم أن حقيقة الذكر ليست باللسان بل لابد أن ينشأ أولاً في الشعور والوجدان ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدًا وتسبيحًا وتنزيهًا فحينئذٍ يكون المسلم من الذاكرين حقًا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت". رواه البخاري.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "سبق المفردون"، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات". رواه مسلم. قال النووي – رحمه الله -: روي: المفردون بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد.

وعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيءٍ أتشبث به قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: "ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة؟، فقلت: بلى يا رسول الله قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله". متفقٌ عليه.

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قديرٌ، فى اليوم مائة مرة كانت له عدل عشرة رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه".

وعن جابر عن النبى ﷺ قال: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة". وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إليّ من أن أنفق عددهم دنانير فى سبيل الله عزّ وجلّ". وقال رجل لسلمان: أى الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. وقال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم؛ وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

وقال الإمام ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكره استغراقًا، ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا"، وفي الحديث القدسي: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" رواه البخاري.

الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

وهي من عظيم الذكر وأفضله، وقد أمر الله بها في القرآن فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقال ابن القيّم: "والمعنى: أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم أيضاً عليه لما نالكم ببركة رسالته ويُمن سفارته من خير شرف الدنيا والآخرة، والصلاة من الله عزّ وجل هى الثناء وإظهار الشرف، وإرادة التكريم، وصلاة المخلوقين الدعاء بمزيد من الشرف والتكريم". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى عليّ أو سأل لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة". وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم". وعن أوس بن أوس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة ففيه فإن صلاتكم معروضة عليّ"، قالوا: يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعنى بليت؟ فقال: "إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

وكذلك جاء في الحديث عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له". وعنه – رضي الله عنه – أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: "من صلىّ عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً".

أما كيفية الصلاة والسلام: فقد جاء عن ابن مسعود الأنصارى قال: "أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله، فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم".

www.alukah.net

أما ما يفعله كثير من المتصوفة في صيغة الصلاة والسلام وكيفيتها، من ابتداع الصلوات والتسليمات، التي فيها الإطراء والمدح المغالى فيه، ووصف النبي ﷺ بأوصاف فوق قدره ومكانته البشرية، وتسميته بأسماء غير مأثورة عنه، فهذا ولا ريب من البدع والمنكرات في الذكر، ومما لا يتعبد به لله تعالى.

خامسًا: إقامة الصلاة بأركانها وخشوعها:

ومما يحيي الإيمان في القلب والنفس: إقامة الصلاة بأركانها وخشوعها، لأن أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد وإقامته، إقامة الصلوات في أوقاتها لله تعالى، بأركانها وشروطها، من الطمأنينة، والتدبر، والترتيل، والخشوع والذلة لله – تعالى –، لقد جعل الله – تعالى – المحافظة على الصلاة، والقيام بحقها من صفات المتقين الصادقين فقال تعالى: ﴿**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:١-٣].

كما أمر بها الأمم من قبلنا بفعلها، فقال – تعالى – لبني إسرائيل: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٣]، ثم كرر الأمر بها فقال: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٥]. ولما بعث النبي ﷺ أمره بدعوة الناس إلى الصلاة، كما جاء في الحديث عن معاذ وابن عباس – رضي الله عنهما –: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم و ليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وهذه الصلاة طريق لتهذيب النفس والأخلاق، وحفظها عن الفواحش والدنايا والمحرمات، كما أخبرنا تعالى في كتابه: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٥]. كما جعل – سبحانه – إقامة الصلاة على أوقاتها، من أعظم ما يذهب السيئات والخطايا عن الإنسان، فقال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود:١١٤]. وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر". رواه مسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما جعل الله الصلاة من أجل الذكر له – تعالى – فقال عز وجل: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]. قال السعدي – رحمه الله –: "أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة. وقال الله – تعالى –: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده".

كما حذرنا الله – تعالى – من تضييع الصلاة، وإخراجها عن وقتها الذي يحبه الله – تعالى – ويتعبدنا به فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون:٤،٥].

كما جعل الله التكاسل عن الصلاة من علامات المنافقين وصفاتهم فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء:١٤٢].

وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعا: "أثقل الصلاة على المنافقين؛ صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار". متفق عليه.

وعنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: "هل تسمع النداء بالصلاة؟" قال: نعم قال: "فأجب". رواه مسلم.

وترك الصلاة بلا عذر شرعي أمر محرم شرعًا، وقد يفضي بصاحبه إلى الكفر عياذًا بالله تعالى فعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر". رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

إذن من الواجب الاهتمام بالصلاة والمحافظة عليها، لأنها من أفرض الفرائض علينا، ثم لأن الصلاة بناء للإنسان وتهذيب للنفس، وصلة قوية تربط العبد بخالقه، وتخلق فيه من أنواع الحب والخشية الشيء الكثير.

* * *





إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني عشر:

المحافظة على الآداب وحسن المعاملة

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، محافظتهم على آداب المسلم، وحسن المعاملة، والقيام بالحقوق: لأن رعايتها من المحافظة على الآداب النبوية، وهي آداب المسلم في ظاهره وباطنه، وما أكثر ما جاء به القرآن والسنة من آداب سامية، تهذب النفس وتهديها، وترفعها للمعالي وتزكيها.

* الأدب مع الله – تعالى -:

فمن ذلك وأعظمه؛ الأدب مع الله تعالى بتعظيمه وخشيته والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والخوف منه، والرجاء فيه، وداوم مراقبته في السر والعلن، والإخلاص له، وتقواه سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩، ٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَما كُنْتُم**﴾ [الحديد: ٤]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران: ٦]. وفي الحديث، عن أبي ذرٍ جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ؛ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

* الأدب مع النبي ﷺ:

ومن ذلك؛ الأدب مع النبي ﷺ بحسن السمع له والطاعة، وكمال التسليم والحب والاتباع، والحفاظ على سنته وهديه، قال الله – تعالى -: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا**

www.alukah.net

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

وجاء في الحديث، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى". رواه البخاري، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "دعوني ما تركتكم: إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم". متفقٌ عليه.

وعن أبي نجيحٍ العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ". رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

* الأدب مع الوالدين:

ومن ذلك؛ بر الوالدين وكمال الأدب معهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَن لا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أيٌّ ؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أيٌّ ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". متفقٌ عليه.

* صلة الأرحام:

ومن ذلك؛ صلة الأرحام، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الآية الرعد: ٢١].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولئكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾". [محمد: ٢٢، ٢٣] متفقٌ عليه.

* إكرام الضيف:

ومن آداب المسلم أيضًا؛ حسن الضيافة للناس، وحسن الجوار لهم، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت". متفقٌ عليه.

* غض البصر عن الحرمات:

ومن آدابه؛ غض البصر عن الحرمات والعورات، وستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة، وقد قال تعالى: قال الله – تعالى –: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال الله – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وجاء في الحديث، عن جريرٍ – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: "اصرف بصرك". رواه مسلم، وعن أبي سعيدٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحدٍ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". رواه مسلم.

www.alukah.net

وعن أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس في الطرقات ! قالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدٌ: نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ: "فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه"، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". متفقٌ عليه.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة". رواه مسلم. وعنه– رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه". متفق عليه.

* حسن الكلام:

ومن آدابه؛ بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك، عن أنسٍ – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً. رواه البخاري. وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان كلام رسول الله كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه. رواه أبو داود.

* السكينة والوقار:

ومن آداب المسلم؛ لزوم الوقار والسكينة في حاله، قال الله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُوْنَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً وَإذا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾ [الفرقان: ٦٣]. وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم. متفقٌ عليه.

* الاستخارة والمشورة:

ومن آدابه؛ الاستخارة والمشاورة في أموره، قال الله – تعالى –: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ في الأمْـر**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى**﴾ [الشورى: ٣٨]. وجاء في الحديث عن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمير خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به". قال: "ويسمي حاجته". رواه البخاري.

* التيمن:

ومن آدابه؛ التيمن في الأشياء وفعلها، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله. متفقٌ عليه.

* حسن الموعظة:

ومن آدابه؛ حسن الموعظة مع الاقتصاد فيها، وعدم إملال الناس، قال الله – تعالى -: ﴿ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. وعن أبي وائلٍ شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - يذكرنا في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يومٍ، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. متفقٌ عليه، وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة". رواه مسلم.

* توقير العلماء:

ومن آداب المسلم؛ توقير العلماء والكبار وأهل الفضل منهم وحفظ سابقتهم وعلمهم، فعن أبي مسعودٍ عقبة بن عمرو البدري الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً، فأقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل

www.alukah.net

الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه". رواه مسلم. وفي روايةٍ له: "فأقدمهم سلماً" بدل سناً: أو إسلاماً، وفي روايةٍ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءةً، فإن كانت قراءتهم سواءً فيؤمهم أقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمهم أكبرهم سناً".

* تحقيق الأخوة الإيمانية:

ومن آدابه، الحب في الله وتحقيق الأخوة الإيمانية، فعن أنسٍ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار". متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه ﷺ قال: "سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات حسنٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه". متفقٌ عليه.

* القيام بحق البيت:

ومن آداب المسلم؛ القيام بحق البيت رجلًا كان أو امرأة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لامرأةٍ أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه". متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري. وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعيةٌ على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته". متفقٌ عليه.

* حسن الإصغاء:

ومن آدابه؛ حسن الإصغاء من الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام، فعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "استنصت الناس ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ". متفقٌ عليه.


إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* الإصلاح بين الناس:

ومن آداب المسلم؛ الإصلاح بين الناس، والسعي بينهم بالخير، قال الله – تعالى -: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "كل سلامى من الناس عليه صدقةٌ كل يومٍ تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقةٌ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقةٌ. والكلمة الطيبة صدقةٌ، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، وتميط الأذى عن الطريق صدقةٌ". متفقٌ عليه.

* الإنفاق والجود:

ومن آدابه؛ البذل والجود والنفقة في سبيل الله، فعن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا. متفقٌ عليه، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من يومٍ يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً". متفقٌ عليه. وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: قال الله – تعالى -: "انفق يا ابن آدم ينفق عليك". متفقٌ عليه.

* الورع وترك الشبهات:

ومن آدابه؛ الورع وترك الشبهات والإعراض عنها سلامة لنفسه ودينه، خاصة مع النساء، قال الله – تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وعن عقبة بن عامرٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والدخول على النساء". فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: "الحمو الموت". متفقٌ عليه. والحمو – كما بين أهل العلم – هو: قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، وذلك لظاهر الأمن من جانبه، وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: "لا يخلون أحدكم بامرأةٍ إلا مع ذي محرمٍ". متفقٌ عليه. وعن بريدة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجلٍ من القاعدين يخلف رجلاً

www.alukah.net
الإصدارات شبكة الألوكة

من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما ظنكم ؟". رواه مسلم.
وعن النعمان بن بشيرٍ – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحلال بينٌ، وإن الحرام بينٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب". متفقٌ عليه.

* السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية:

ومن آداب المسلم، طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية، قال الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].
وفي الحديث عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة". متفقٌ عليه. وعنه– رضي الله عنه – قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: "فيما استطعتم". متفقٌ عليه. وعنه – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليةً". رواه مسلم. وفي روايةٍ له: "ومن مات وهو مفارقٌ للجماعة، فإنه يموت ميتةً جاهليةً". الميتة بكسر الميم، وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌ، كأن رأسه زبيبةٌ". رواه البخاري. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك". رواه مسلم.

* الوفاء بالعهد والوعد:

ومن آداب المسلم؛ إنفاذ الوعد والعهد، والحذر من الخلف فيهما، إلا من عذر شرعي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" متفقٌ عليه. زاد في روايةٍ لمسلم: "وإن صام وصلى وزعم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنه مسلم". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر". متفقٌ عليه.

*** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

ومن آداب المسلم؛ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن هذه العبادة فيها إصلاح للنفس بالعمل بالعلم، وإصلاح للخلق بالنصح لهم وحفظهم من المعاصي الظاهرة، وحفظ المجتمع من ظهور الفساد فيه، حتى لا يقع تحت طائلة غضب الله ووعيده بالعذاب أو الهلاك.

فلا يصح للسائر طريق إلى الله إلا أن يغضب أن تنتهك محارم الله، أو أن تنتشر الفاحشة بين المسلمين، أو يظهر الظلم والقتل وأكل الربا، أو تنتشر الغيبة والنميمة، أو يظهر الغناء والمنكرات، فإذا ما وقع في قلبه الغيرة على محبوبه الأعظم، قام بقلبه داع الغضب له، فكان ذلك دافعًا لأن يأمر بالمعروف الذي أمر به الله ورسوله، وأن ينهى عن المنكر الذي نهى عنه الله ورسوله.

وقد بين الله تعالى لنا أن بني إسرائيل لما تخاذلوا عن القيام بأعباء الشريعة، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي المنكر، حل بهم عقاب الله ولعنته وغضبه كما قال عز وجل: ﴿**كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٩]، لقد حق عقاب الله عليهم لأنهم أهملوا الوجبات التي تصون مجتمعهم من الانحراف والضياع، وتقودهم إلى الخير والرشاد.

ولهذا جاء أمر الله في القرآن بإحياء هذه الفريضة، والعمل بها، لهداية الخلق للخالق، ورفع العذاب عنهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ**

www.alukah.net شبكة الألوكة

للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤-١١٠].

وجاء في الحديث في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال:"إياكم والجلوس في الطرقات" فقالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ:" فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه" قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله . قال:"غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر".

وعن حذيفة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال:"والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم"، رواه الترمذي. وفي حديث أسامة أن النبي ﷺ قال: يُؤتى بالعالم يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلقُ أقتابه فيدور حولها كما يدور الحمار حول الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ويحك، مالك كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

إلا أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر له شروطه وضوابه، فلا يفسد من حيث يظن الإصلاح، ولا يقطع من حيث يظن الوصل، ولا يهدم من حيث يظن البناء، ولهذا جاء في الحديث أنه درجات، وما يصلح فلان لا يصلح لغيره، فعليه أن يكون عالمًا بالمنكر، قادرًا على إزالته، مقيمًا للمصلحة الشرعية بالحكمة وبغيرمنكر، حيث لا يترتب على إنكاره منكرًا آخر أو أكبر منه، وإلا فإن إنكاره عندئذ يكون أمرًا بالمنكر، وقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال:"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". رواه مسلم، ففي الحديث دلالة واضحة على وجوب معرفة المنكر، ووجوب إنكاره أيضًا، لكنه جعل الإنكار مراتب متفاوتة بحسب المصلحة والحال والإمكان. وقال سفيان الثوري قال:"لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى".

وكان أحمد بن حنبل يقول:"كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون، يقولون: مهلا رحمكم الله".



وعن أم الدرداء قالت: "من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه".

وهذا الباب كثير وجليل، وفيه من الآداب السامية، والأخلاق الفاضلة الكثير، وإنما نبهت على بعض منها، ليكون المسلم السائر إلى الله على بصيرة من الخير والتقوى ما استطاع سبيلًا، وحتى يتزود من معالم الهدى والنور والإيمان، فتستقيم له دنياه وأخراه.

❋ ❋ ❋



www.alukah.net

الفصل الثالث عشر:

المحافظة على السنة في أعمال اليوم والليلة

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، محافظتهم على السنة في أعمال اليوم والليلة وإقامتها: من الأذكار والطاعات، والسنن والرواتب الواردة والمؤكدة والمستحبات، فكم لها من آثر عظيم، ووقع كبير في تهذيب النفس وصفائها، وتثبيتها على طريق الهداية إلى الصراط المستقيم.

* الغرة والتحجيل والإسباغ في الوضوء:

فمن ذلك؛ الغرة والتحجيل في الوضوء والطهارة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل". متفقٌ عليه.

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره". رواه مسلم. وعنه– رضي الله عنه – قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: "من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلةً". رواه مسلم.

* المسارعة إلى الصلوات:

ومن ذلك؛ المسارعة إلى الصلوات في المساجد وتعميرها، وقد أشرنا إليها آنفًا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه شيءٌ ؟ ". قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ؛ قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا". متفقٌ عليه.

وعن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ". رواه مسلم. وعن أبي



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارةٌ لما بينهن، ما لم تغش الكبائر". رواه مسلم. وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من امريءٍ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرةٌ، وذلك الدهر كله". رواه مسلم.

* كثرة المشي إلى المساجد:

ومن ذلك؛ كثرة المشي إلى المساجد، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح". متفقٌ عليه. وعنه- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيتٍ من بيوت الله، ليقضي فريضةً من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً". رواه مسلم.

* المحافظة على السنن والرواتب في الصلوات:

ومن ذلك؛ التأكيد على ركعتي سنة الصبح، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة. رواه البخاري. وعنها قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيءٍ من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. متفقٌ عليه. وعنها عن النبي ﷺ قال: "ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها". رواه مسلم. وفي روايةٍ: "لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً".

وكذلك سنة الظهر، فعن ابن عمر، - رضي الله عنهما - قال: صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها. متفقٌ عليه.

وكذلك سنة العشاء بعدها وقبلها، لحديث ابن عمر- رضي الله عنهما - صليت مع النبي ﷺ ركعتين بعد العشاء، وحديث عبد الله بن مغفل: "بين كل أذانين صلاةٌ". متفقٌ عليه.

وكذلك باب سنة الجمعة البعدية، لحديث ابن عمر أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتين بعد الجمعة. متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعاً". رواه مسلم.

www.alukah.net

ومن ذلك أيضًا؛ سنة ركعتي الضحى، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقةٌ: فكلُ تسبيحةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى". رواه مسلم. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ صلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله. رواه مسلم.

ومن ذلك؛ المحافظة على ركعتي تحية المسجد، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين". متفقٌ عليه. وعن جابرٍ، - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد، فقال: "صل ركعتين". متفقٌ عليه.

* المحافظة على صيام السنن والتطوع:

ومن ذلك؛ المحافظة على الصيام، وتقوية النفس وتهذيبها به، فإن الصيام يمنع النفس بالصبر والتقوى، ويحميها من مواطن هلاكها، ويصفي الروح والقلب، ويؤدبها بالخشية والمراقبة والمثوبة، ويكفها عن الذنوب بالزواجر الواعظة، ويقربها من رحاب الجنة وبابها، ويرويها من ظمأها، ويطعمها من جوعها وفاقتها، فنعم الإدام الجوع، ونعم الزاد الصوم،

وقد جاء الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنةٌ؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني صائمٌ. والذي نفس محمدٍ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه" متفقٌ عليه.

وعن سهل بن سعدٍ - رضي الله عنه -، عن النبي، ﷺ قال: "إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدٌ" متفقٌ عليه. وعن أبي سعيدٍ الخدري، - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله، ﷺ: "ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً" متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة، - رضي الله عنه -، عن النبي، ﷺ، قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما



تقدم من ذنبه" متفقٌ عليه، وعنه – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله، ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل" رواه مسلمٌ.

وعن عائشة، – رضي الله عنها –، قالت: لم يكن النبي، ﷺ، يصوم من شهرٍ أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي روايةٍ: كان يصوم شعبان إلا قليلاً، متفقٌ عليه.

وعن ابن عباسٍ، – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله، ﷺ: "ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه، وماله، فلم يرجع من ذلك بشيءٍ" رواه البخاري.

وعن أبي قتادة، – رضي الله عنه –، قال: سئل رسول الله، ﷺ: عن صوم يوم عرفة؟ قال: "يكفر السنة الماضية والباقية" رواه مسلمٌ.

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما –، أن رسول الله، ﷺ، صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه. متفقٌ عليه. وعن أبي أيوب، رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ، قال: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوالٍ، كان كصيام الدهر" رواه مسلمٌ.

وعن أبي قتادة، – رضي الله عنه –، أن رسول الله، ﷺ، سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذلك يومٌ ولدت فيه، ويومٌ بعثت، أو أنزل علي فيه" رواه مسلمٌ.

وعن أبي هريرة، – رضي الله عنه –، عن رسول الله، ﷺ، قال: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائمٌ" رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وعنه– رضي الله عنه –، قال: "أوصاني خليلي، ﷺ، بثلاثٍ: صيام ثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام". متفقٌ عليه.

وعن أبي الدرداء، – رضي الله عنه –، قال: "أوصاني حبيبي، ﷺ بثلاثٍ لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر". رواه مسلمٌ.

قال النووي: "والأفضل صومها في الأيام البيض، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر. وقيل: الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والصحيح المشهور هو الأول".



www.alukah.net

* المحافظة على السواك وخصال الفطرة:

ومن ذلك؛ المحافظة على السواك وخصال الفطرة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاةٍ". متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة، - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: الفطرة خمسٌ، أو خمسٌ من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب". متفقٌ عليه. قال النووي -رحمه الله -: الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "عشرٌ من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء". قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة؛ قال وكيعٌ - وهو أحد رواته - : انتقاص الماء؛ يعني: الاستنجاء. رواه مسلمٌ.

* المداومة على قيام الليل:

وهذا أيضًا من أعظم الزاد والبناء الإيماني في القلب وهو من أول ما أمر الله به نبينا ﷺ يقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل:١-٤]، وقال الله – تعالى -: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّد بِهِ نَافِلَةً لَكَ، عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحمُوداً**﴾ [الإسراء:٧٩]، وقال تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ [السجدة:١٦]، وقال تعالى: ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ [الذاريات:١٧]. وفي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً". متفقٌ عليه. بل إن السلف الصالح كانوا يعظمون قيام الليل، ويرفعون مكانته، ويجعلونه دليل العلم والخشية، وعلامة الصالحين الصادقين، وكانوا يعجبون مما لا نصيب له من هذه العبادة الجليلة، فقد ذكر ابن الجوزي – رحمه الله – في "صفة الصفوة" في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل: عن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة اشهر بالعسكر؛ لا يدع قيام الليل، وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها كان يسر ذلك. وعن أبي عصمة بن عصام البيعقي قال: بت ليلة عند احمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان فقال: سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد

بالليل؟ وذكر عنه صاحب الآداب الشرعية: إبراهيم بن شماس، قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل، وقال الشيخ تقي الدين: فيه أنه يُكره لأهل العلم ترك قيام الليل، وإن كانوا مسافرين، وعن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل. فقال: قيدتك خطاياك.

* كثرة الذكر مع تلاوة القرآن:

ومن ذلك؛ ذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجنباً وحائضاً، إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض – على قول لأهل العلم على تفصيل فيه–، قال الله – تعالى –: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَات لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلى جُنوبِهِمْ﴾** [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه. رواه مسلم. وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولدٌ، لم يضره". متفقٌ عليه.

ومن ذلك؛ استحباب الاجتماع على القراءة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". رواه مسلم.

وأفضل الذكر تلاوة القرآن وذلك لتضمنه لأدوية القلب كما قال الله – عز وجل –: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾** [يونس:٥٧].

وعن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه" رواه مسلم. ورحم الله القائل:

سأصرف وقتي في قراءةِ ما أتى ... عن الله مع ما جاءنا عن رسولهِ

فإن الهدى والفوز والخير كله ... بما جاء عن رب العباد ورسلهِ

وقال آخر:



www.alukah.net

القرآن أصلُ أصول الدين قاطبَةً   فكن هُدِيتَ به مستمسكًا وثقًا

فما أحوج المسلم إلى تلاوة هذا الكتاب وقد بينا ذلك فيما مضى وقد قال خباب - رضي الله عنه -: تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

*** ذكر الصباح والمساء:**

ومن ذلك؛ المحافظة على الذكر عند الصباح والمساء، قال الله – تعالى -: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيْفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالغُدُوِّ والآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمِ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وأما أحاديث السنة: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرةٍ، لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد". رواه مسلم.

وعنه- رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة ! قال: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك". رواه مسلم. وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت. وإليك النشور". رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

وعنه - رضي الله عنه - أن أبا بكرٍ الصديق، - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله مرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: "اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيءٍ ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك". رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له". قال الراوي: أراه قال فيهن: "له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر". وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: "أصبحنا وأصبح الملك لله". رواه مسلم.

وعن عبد الله بن خبيبٍ – بضم الخاء المعجمة – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اقرأ: قل هو الله أحدٌ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مراتٍ تكفيك من كل شيءٍ". رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح.

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبدٍ يقول في صباح كل يومٍ ومساء كل ليلةٍ: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مراتٍ، إلا لم يضره شيءٌ". رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

*** الصدقة:**

ومن ذلك أيضًا، الإكثار من الصدقات، كلما تيسر له إخراجها لأهلها، فإن الصدقة بر وإحسان، ونور في القلب، وسعة في الرزق، وخلاص من البخل والشح، ومرضاة للرب، واتقاء للنار، وطلب للجنة، فعن طلحة بن عبيد الله، – رضي الله عنه –، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله، ﷺ، من أهل نجدٍ ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله، ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله، ﷺ: "خمس صلواتٍ في اليوم والليلة" قال: هل علي غيرهن؟

قال: "لا، إلا أن تطوع" فقال رسول الله، ﷺ: "وصيام شهر رمضان" قال: هل علي غيره؟ قال: "لا، إلا أن تطوع" قال: وذكر له رسول الله، ﷺ الزكاة فقال: هل علي غيرها؟ قال: "لا، إلا أن تطوع" فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه؛ فقال رسول الله، ﷺ: "أفلح إن صدق" متفقٌ عليه.



www.alukah.net

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنه– أن النبي، ﷺ، بعث معاذاً رضي الله عنه، إلى اليمن فقال: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله، تعالى، افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم" متفقٌ عليه.

وفي دعاء المتصدق من أبواب الجنة جاء أن رسول الله ﷺ قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة" قال أبو بكرٍ، – رضي الله عنه –: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورةٍ، فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها ؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم" متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ! أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم. قلت: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان" متفقٌ عليه.

وفي الحديث أيضًا عن النبي ﷺ قال: "اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً، ومن يستعفف، يعفه الله، ومن يستغن، يغنه الله" رواه البخاري. وجاء في أنواع الصدقة في الحديث أيضًا: "أفضل الصدقة إصلاح ذات البين"، وعن أنس: قال النبي ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وفي الحديث: "من أنظر معسرا فله بكل يوم صدقة، قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة"، وفي الحديث: "ما أطعمت نفسك ؛ فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك ؛ فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك ؛ فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة".

وجاء في الحديث: "تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما جاء في فضلها وعظيم أجرها أيضًا: "الصدقة تطفيء الخطيئة، كما يطفيء الماء النار" أخرجه أحمد والترمذي، وفي الحديث، "إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته". وقال ابن القيم: "والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوي فرحه وعظم سروره ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون".

* الدعاء:

ومن ذلك أيضًا، ملازمة الدعاء ودوام الافتقار إلى الله في كل وقت، فيسارع باغتنام أوقات الدعاء الشريفة، التي يرجى فيها حصول الاستجابة من الله عز وجل له، كالدعاء في السجود، والدعاء دبر الصلاة، والدعاء عند نزول الغيث، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وليلة القدر، وعند الصيام، وأوقات السحر من الليل، وعند وقوع الشدة والكرب، وغيرها، فإنها مما يرجى فيها إجابة الدعاء، وحسن القبول من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]. وقال عز وجل: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة : ١٨٦] . وجاء في الحديث عن النعمان بن بشير قال: قال ﷺ: " الدعاء هو العبادة " ثم تلا الآية: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]. وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: "من لم يسأل الله يغضب عليه"، وعن سلمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله حييّ كريم يستحى إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفراً خائبتين". وعن أبى سعيد الخدرى، أن النبى ﷺ قال: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجلله دعوته، وإما أن يدخرها فى الآخرة، وأما أن يصرف عنه من السوء مثلها". وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: "أنا لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فمن ألهم الدعاء فإن الإجابة معه". وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: "اللهم آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً؛ وقنا عذاب النار"، متفقٌ عليه. زاد مسلمٌ في روايته قال: وكان أنسٌ إذا أراد أن يدعو بدعوةٍ دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاءٍ دعا بها

www.alukah.net

فيه. وعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى رواه مسلمٌ. وعن طارق بن أشيم - رضي الله عنه - قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني"، رواه مسلمٌ.

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم" متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله، ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء"، رواه مسلم.

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم رواه مسلم. وفي الحديث عن النبي ﷺ: "الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد".

كما عليه أن يتحرى أكل الحلال، واليقين مع الإلحاح في الدعاء على الله، وعدم العجلة أو التعدي في دعائه، مع الحمد والثناء على الله بالمحامد والشكر، وأوصاف الجلال والكمال له سبحانه، والصلاة والسلام على رسوله فإن ذلك أحرى له بالاستجابة له. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً"** وقال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ"** ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ؟"، رواه مسلم. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل: يقول: قد دعوت ربي، فلم يستجب لي"، متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثمٍ، أو قطيعة رحمٍ، ما لم يستعجل"، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: "قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء".

***




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع عشر:

الجهاد في سبيل الله والشوق إليه

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، الشوق والمحبة للجهاد في سبيل الله تعالى: وبذل النفس والروح لإعلاء كلمة الحق، والفوز بالجنة وثوابها، والآخرة وكرامتها؛ لأن السائر إلى الله، الراغب في الجنة، لا يتم له صدق الطلب إلا بمحبته لربه، ومحبته لربه داعية له بإعلاء دينه وكلمته في الأرض، وقد يتطلب ذلك منه بذل الوقت والجهد، أو بذل الروح والنفس، وهذه من حقائق المحبة والصدق مع الله، فالمتخلف عن الجهاد لغير عذر من الله ورسوله فيه من أمارات النفاق ما يدل عليه، والمحب الصادق، المقدم نفسه رخيصة في سبيل محبوبه ورضاه، فيه من أمارات المحبة والإيمان ما يدل عليه، وصدق القائل:

خَلَقَ اللَّـهُ لِلْجِهَادِ رِجَالاً   وَرِجَالاً لِقَصْعَةٍ وَثَرِيدِ

فضل الجهاد في الكتاب والسنة والدعوة إليه :

والمتأمِّل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يرى فيها دعوةً جليلة لبَذْل الأموال والأنفس للجهاد في سبيل الله - تعالى - فمن القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨].

وقوله - تعالى -: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]. وقوله - تعالى -: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ**

www.alukah.net

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

ومنها آياتٌ كثيرة جعَلها الله - تعالى - في سورةٍ تَحُث على إحياء الجهاد في نفوس المؤمنين، والصبر والثبات في قتال الكافرين، ومن ذلك في سورة الأنفال قولُ الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] إلى قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وهذه سورة التوبة سورة الجهاد والبَراءة من الكافرين والمنافقين تَحُثُّ أهلَ الإيمان على الجهاد، وتُحذر من الإخلاد إلى زينة الحياة الدنيا، كما في قول الله - تبارك وتعالى - في قتال المشركين: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥]، وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله - تعالى -: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. وقوله - تعالى -: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وقوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، والقرآنُ فيه الكثير مِن مثل هذه الآيات الجليلة، والمتأمِّل لسورة البقَرة، وآل عِمْران، والأنفال، والتَّوْبة، ومحمد، والأحزاب، والفتْح، والصَّف، وغيرها - يرى مدى اهتمام القرآن بإحياء هذه الفريضة، التي هي وسيلة كبيرة إلى تعبيد الناس لخالقِهم - سبحانه وتعالى.



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمَّا الأحاديث النبويَّة في الجهاد، فهي كثيرةٌ ومُستفيضة في هذا الباب، وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: "والذي نفسي بيده، لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيبُ أنفسُهم بأنْ يتخلَّفوا عني، ولا أجدُ ما أحملهم عليه، ما تَخلَّفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده، لوَدِدْت أنِّي أُقْتَل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أُقْتَل"، رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هُريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، لا يُكْلَم أحدٌ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله - إلاَّ جاء يومَ القيامة، واللَّونُ لَوْنُ الدَّم، والرِّيحُ ريح المسك"، رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: "غاب عَمِّي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غِبْتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين، لئن أشهدني الله قتالَ المشركين؛ لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع، فلَمَّا كان يومُ أُحُدٍ، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إنِّي أعتذر إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: أصحابه، وأَبْرَأُ إليك مِمَّا صنع هؤلاء؛ يعني: المشركين، ثُمَّ تقدَّم فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا سعدُ بنُ معاذ، الجَنَّةَ وربِّ النضر، إنِّي أجد ريحها من دون أُحُد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صَنَع، قال أنسٌ: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف أو طَعْنةً برمح أو رَمْيَةً بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَّلَ به المشركون، فما عرفه أَحَدٌ إلا أخته ببَنانه؛ قال أنس: كنا نرى، أو نظن أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إلى آخر الآية"؛ رواه البخاري.

وعن أم حارثة بن سراقة أنَّها أتت النبيَّ ﷺ فقالت: يا نَبِيَّ الله، ألاَ تحدثني عن حارثة - وكان قُتِلَ يومَ بدر، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ - فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البُكاء؟ قال: "يا أُمَّ حارثة، إنَّها جنان في الجنة، وإنَّ ابنَك أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعلى"، أخرجه البخاري. وعن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: "واعلموا أنَّ الجنةَ تحت ظلال السيوف"، أخرجه الشيخان وأبو داود.

وعن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "مَن جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في سبيل الله بِخَيْرٍ فقد غزا"، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والتِّرمذي، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن

www.alukah.net

احتبس فَرَسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإنَّ شبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يومَ القيامة"، رواه البخاري. وعنه- رضي الله عنه - قيل: يا رسول الله، ما يَعْدِلُ الجهاد في سبيل الله؟ قال: "لا تستطيعونه"، قال: فأعادوا عليه مرَّتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه"، ثم قال: "مَثَلُ المجاهد في سبيل الله، كمَثَلِ الصائم القائم القانت بآياتِ الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد"، أخرجه الستة إلاَّ أبا داود.

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنهُما - قال: سَمِعْت رسولَ الله ﷺ يقول: "عينان لا تَمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتتْ تَحْرُسُ في سبيل الله"، رواه التِّرمِذِي.

وعن سهل بن حُنيف - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "مَن سأل الله - تعالى - الشهادة بصِدقٍ بلَّغه الله منازلَ الشُّهداء، وإن مات على فراشه"، رواه الخمسة إلا البخاري.

وعن خريم بن فاتك قال: قال رسولُ الله ﷺ: "مَن أنفق نفقة في سبيل الله - تعالى - كتبتْ له بسبعمائة ضعف"، رواه الترمذي وحسنه والنسائي.

وعن أبي هريرة - رضي اللهُ عنه - قال: مَرَّ رجلٌ من أصحاب رسول اللهِ ﷺ بشعب فيه عُيَيْنَة من ماء عَذْبَة فأعجبته، فقال: لو اعتزلتُ الناسَ، فأقمت في هذا الشعب، فذَكَر ذلك لرسول الله ﷺفقال: "لا تفعل، فإنَّ مُقامَ أحدِكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألاَ تُحبون أنْ يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ اغْزُوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فَوَاقَ ناقَةٍ، وجبت له الجنة"، رواه الترمذي.

وعن المقدامِ بنِ معدِي كَربَ قال: قال رسول ﷺ: "للشَّهيد عندَ اللهِ ستُّ خصال: يغفرُ لهُ في أوَّلِ دفعةٍ، ويرى مقعده من الجنَّةِ، ويُجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمنُ من الفزعِ الأكبرِ، ويوضعُ على رأسهِ تاجُ الوقار، الياقُوتةُ منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويزوَّجُ اثنتينِ وسبعينَ زوجةً من الحورِ العينِ، ويشفَّعُ في سبعينَ من أقربائهِ"، رواه الترمذي وابن ماجه، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه"، رواه مسلم.

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله تعالى عنه - يقول: "لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يومَ أحد، قال رسول الله ﷺ: "يا جابر، ألاَ أخبرك ما قال الله - عزَّ وجلَّ - لأبيك؟"، قلت: بلى، قال: "ما كلم الله أحدًا إلاَّ من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي، تَمَنَّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليَّ أعطك، قال: يا رب، تُحييني فأقتل فيك ثانية، قال: إنَّه سبق مني أنَّهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأَبْلِغْ مَن وَرائي"، فأنزل الله - عزَّ وجل - هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية كلها"؛ رواه ابن ماجه. وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا تبايعتم بالعِينَة وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهادَ، سَلَّطَ الله عليكم ذُلاًّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"، رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: "انطلقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض"، قال عُمَيْرُ بن الحُمَام: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله ﷺ: "ما يَحملك على قولك: بَخٍ بخ"، قال: لا والله يا رسول الله، إلاَّ رجاءَ أن أكون من أهلها، قال: "فإنَّك من أهلها"، فأخرج تَمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنَّها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "مَن مات ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق"، رواه مسلم وأبو داود.

مراتب الجهاد:

والجهاد له صور شتى من حيث العموم، كالجهاد بالنفس وبالمال وبطلب العلم؛ لأنَّه متعلق ببذل الجهد، أمَّا عند إطلاقه فهو يعني غالبًا الجهاد القتالي، والذي أكثر الله من ذكره في القرآن، وكما جاء أيضًا في نصوص السنة النبوية، وقد أشرنا إليها آنفًا.

أمَّا بالنسبة لأنواع الجهاد، فهو ينقسم قسمين: جهاد الطلب، وجهاد الدَّفع.

أمَّا جهاد الطلب فهو طلب المشركين.

وجهاد الدفع: هو دفع المشركين، يعني جهاد الدفع: أنْ يغزو المشركون المسلمين في بلادهم، فيجاهدهم المسلمون دفاعًا عن بلادهم.

وأمَّا جهاد الطلب فخلافه، ففي حديث بُرَيْدَة أنَّ النبي ﷺ كان إذا بعث سريةً وأمَّر عليها أميرًا، فأوصاه بخاصة نفسه ومن معه بأنْ يتقوا الله - عزَّ وجلَّ - إلى آخره، فهذا من جهاد الطلب.

www.alukah.net

وقد ذكر ابنُ القيم في "زاد المعاد": أنَّ الجهادَ أربعُ مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أنْ يُجاهدها على تعلُّم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاحَ لها، ولا سعادةَ في معاشِها ومَعادِها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدَّارين.

الثانية: أنْ يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلاَّ فمُجرد العلم بلا عمل إن لم يضرَّها لم ينفعها.

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أنْ يُجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدَّعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربَّانيِّين، فإنَّ السلفَ مُجمِعون على أنَّ العالم لا يستحقُّ أنْ يُسمَّى رَبَّانِيًّا حتى يعرف الحقَّ ويعمل به ويعلمه. فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشُّبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر؛ قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أنَّ إمامة الدين إنَّما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

مراتب جهاد الكفار والمنافقين:

وأمَّا جهاد الكفار والمنافقين، فأربعُ مراتبَ: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخصُّ باللسان.

جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات:





وأمَّا جهاد أرباب الظُّلم والبدع والمنكرات، فثلاثُ مراتب: الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، فهذه ثلاثَ عَشْرَةَ مرتبة من الجهاد، و"من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق"، رواه مسلم.

هذه بعضُ معالِم الجهاد في سبيل الله - تعالى - ولكنَّ الجهادَ القتالِيَّ هذا مع العدو قد يُفْرَض أحيانًا؛ لأنهم دخلوا ديارَ المسلمين عُنْوَة، واقتحموا حُرماتِهم وأعراضِهم، واستحلوا دماءَهم وأموالهم، فهذا النوعُ من الجهاد لا حاجةَ فيه لأمير، ولا أن يستأذن فيه؛ لأنَّه صار فرضَ عين على كُلِّ المسلمين في ذلك البلد، على قولِ كثير من أهل العلم.

* * *



www.alukah.net

الفصل الخامس عشر:

الشوق إلى الجنة وما فيها من النعيم

* حنين المشتاق إلى الجنة ونعيمها:

ومن أعلام الهداية للسائرين والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم، حنينهم وشوقهم الدائم إلى الجنة وما فيها من النعيم: فالجنة هي دار السلام، وهي دار المقامة، وهي النعيم الخالد الذي لا يحول ولا يزول، فهي دار المتقين الصالحين، ودار الأبرار والمؤمنين، ودار الصابرين والمجاهدين، ودار الأولياء والصادقين، ودار المحبين والمشتاقين لرحمة رب العالمين، ولهذا فقلوب أهل الآخرة تتعلق دائمًا بالشوق إلى الله – تعالى -، وإلى كمال رؤيته في الجنة.

فعند أول قدم يضعها المؤمن الصالح الصابر المحب السائر في الجنة، ينسى كل بؤس وهم وغم وحزن رأته نفسه في دار الدنيا الفانية، وينسى الأكدار والأنكاد التي طالما نغصت عليه حياته ومعاشه، وينسى كل فقر وحرمان من متعها، وينسى الآفات والأمراض والعاهات التي طالما لحقته في حياته الدنيا وأقعدته عن خير كان يرجوه، ويصير إلى نعيم وسعة من العيش، وينظر فلا يرى حوله وفوقه وتحته إلا برد السعادة ولذة النعيم الحسي والقلبي، ويرى القصور الفارهة العالية.

ويرى منازل أهل الجنة كنجوم السماء العوالي، ويرى البساتين والأشجار وتحتها تجري تلك الأنهار بلا شطآن، وسبحان مجريها، ويرى البسط والفرش والأرائك والأسرة المرفوعة المبهجة، ويرى الغلمان والخدام كالأزهار والأقمار يطوفون، ويرى المطاعم والمشارب على موائدها العامرة بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ويرى فيها شجرة يجري في ظلها مائة عام ما يقطعها من عظمها وجمالها، ويرى تلك الخيمة البديعة التي حوت في أكنافها لذات من الفرش والزوجات الحسان الوضيئات الزاهرات، يقول ابن القيم – رحمه الله -:

يا مطلق الطرف المعذب في الألى ... جردن عن حسن وعن إحسان
فاسمع صفات عرائس الجنات ثم ... اختر لنفسك يا أخا العرفان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حور حسان قد كملن خلائقاً ... ومحاسناً من أجمل النسوان
فيقول سبحان الذي ذا صنعه ... سبحان متقن صنعة الإنسان
فاجمع قواك لما هناك وغمض الـ ... ـعينين واصبر ساعة لزمان
ما ههنا والله ما يسوى قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان
ما ههنا إلا النقار وسيّيء الـ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان
هم وغم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق أو الفراق الثاني
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن ... تفعل رجعت بذلة وهوان

كما يرى سوق الجنة العامر، فيدخله ليشتري منه بلا ثمن لأنه قدمه وأسلفه بالعمل في هذه الدار، ويرى من اللؤلؤ والزبرجد والذهب والفضة وما أخفى الله من النعيم والإنعام لأوليائه وعباده الصالحين.

ويرى من جماله وكماله ونوره وجلاله ما ينسيه كل ما هو فيه من النعيم مع أول نظرة لوجه الرب الكريم سبحانه وبحمده، وقد روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟!

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربِّ، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟! فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟

فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً". فكيف بعد هذا لا تشتاق إليها النفوس الموقنة، وتتعلق بها القلوب الطاهرة الذاكرة المشتاقة.

فالشوق إلى الجنة ونعيمها هو فرع من الشوق إلى الله – تعالى -، لأن أكمل وأعظم وأتم نعيم لأهل الجنة هو رؤيتهم لوجه الله، والنظر إليه، فكون السائر إلى الله في شوق دائم للجنة، فهذا من تمام الشوق إلى الله وما أعده لعباده وأوليائه من النعيم المقيم، والخلود الأبدي في درجاتها، ولا أدل على هذا من القرآن والسنة.

فإن الله قد بين في آيات الكتاب وصف الجنة وما فيها من النعيم والعطاء، ووصف مطاعم أهلها ومشاربهم، ووصف لباسهم وقصورهم، ووصف أزواجهم وغلمانهم،

www.alukah.net

ووصف حدائقهم وأنهارهم، ووصف حالهم وكلامهم، وكذلك وصفها نبيه ﷺ حتى كأنها أمام الناظر مرئية، واضحة جليه.

وهذا من كمال وصفها، فكيف لو عاينتها الأعين بلحظها، وتنعمت القلوب والأنفس بجمال نعيمها وبهجتها وقصورها ونساءها، وما أعد الله فيها مما لا لم تراه العيون، ولم يأت به الواصفون، والمستقريء لنصوص الوحيين يعلم ذلك علم اليقين، فكيف بعد هذا لا ينزل الشوق إليها في قلوب المحبين، ولا تسارع إليها قلوب المشتاقين، وكيف لا تتعلق أرواحهم بها، وهي أعظم النعيم.

* وصف الجنة في الكتاب والسنة وما فيها من صنوف النعيم والسعادة لأهلها:

لقد تكاثرت الآيات في وصف الجنة في الكتاب، ووصف ما فيها، وما أعده الرحمن لأهل السعادة والخلود بين أكنافها فمن ذلك: قول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-٤٠].

وقَالَ الله تَعالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥- ٤٨]. وقال تَعالَى: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ * وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨].

* **كما جاء في السنة النبوية الجوامع مما في الجنة من النعيم والحبور، والأنهار والقصور، والغلمان والحور، ورؤية وجه الله العزيز الغفور**، فأما طعامهم وشرابهم فقد جاء عن جابر – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ". رواه مسلم .

وأما عن كمال نعيم الجنة وعظيم ما أخفى الله عن عباده في الدنيا فقد جاء عن أَبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ". متفق عَلَيْهِ.

وأما عن صفة أول من يدخل الجنة وحالهم فعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: "أوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً، لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ – عُودُ الطِّيبِ – أزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ "متفق عَلَيْهِ .

وفي رواية البخاري ومسلم: "آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَان يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِياً"، قال النووي: "قوله: "عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ". رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح".

وأما عن أدنى أهل الجنة منزلًا وليس فيهم دني فعن المغيرةِ بن شعبة – رضي الله عنه – ، عن رسُولِ الله ﷺ قال: "سألَ مُوسَى – صلى الله عليه وسلم – رَبَّهُ: ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ:

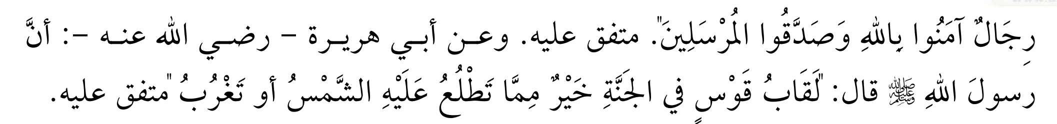
أيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فيقُولُ في الخامِسَةِ. رَضِيْتُ رَبِّ، فيقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ". رواه مسلم .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ: "إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيقُولُ اللهُ – عز وجل – له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى! فَيَقُولُ اللهُ – عز وجل – له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ، فيأتِيهَا، فَيُخيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ – عز وجل – لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجَنَّةَ. فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشرَةَ أَمْثَالِهَا؛ أَوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأنْتَ المَلِكُ". قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: "ذلِكَ أَدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً" متفق عليه. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "إنَّ أدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أنْ يَقُولَ لَهُ: تَمنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ". رواه مسلم.

وأما عن خيام الجنة، فقد جاء عن أبي موسى – رضي الله عنه –: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "إنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلاً. لِلمُؤمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً" متفق عليه . المِيلُ: ستة آلافِ ذِراعٍ.

وأما عن أشجار الجنة، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – ، عن النبيِّ ﷺ قال: "إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِئَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا" متفق عليه ، وفي رواية أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "يسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا".

وأما وصف علوهم ومكانهم، فعن النبيِّ ﷺ قال: "إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِق أو المَغْربِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ" قالُوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لاَ يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قالَ: "بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،



رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ". متفق عليه. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ" متفق عليه.

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءون الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ" متفق عليه.

وأما عن سوق الجنة ورياحها؛ فعن أنس - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ في الجَنَّةِ سُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزدَادُونَ حُسناً وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقدِ ازْدَدْتُمْ حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً !". رواه مسلم.

وأما عن خلودهم الأبدي في الجنة، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا، فَلاَ تَمُوتُوا أَبَداً، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لَكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَداً". رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله - عز وجل - يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ في يديْكَ، فيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: ألاَ أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فيَقولُونَ: وَأيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبداً". متفق عليه.

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: "إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَاناً كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ" متفق عليه.

وعن صُهيب - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئاً أَزيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ" رواه مسلم.

www.alukah.net

وقال ابن القيم: "فوا عجبا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قَرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين".

وفي وصف الجنة ونعيمها قال ابن القيم – رحمه الله - :

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد الـ ... مزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم
وحي على السوق الذي فيه يلتقي الـ ... محبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على واد هنالك أفيح ... وتربته من إذفر المسك أعظم
فبينا همو في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنورٍ ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السماوات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلم



سـلام علـيكم يسـمعون جمـيعهم ... بـآذانهم تسـليمه إذ يسـلم
يقـول سـلوني مـا اشـتهيتم فكـل مـا ... تريـدون عنـدي أنـني أنـا أرحـم
فيـا بائعـا هـذا بـبخس معجـل ... كأنـك لا تـدرى؛ بلـى سـوف تعلـم
فـإن كنـت لا تـدرى فتلـك مصـيبة ... وإن كنـت تـدرى فالمصـيبة أعظـم

❋ الأعمال الموصلة إلى الجنة:

أما عن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، التي يكون السائر إلى الله والدار الآخرة على بصيرة بها، ساعيًا لها، متصفًا بها، فقد تكاثرت بها النصوص أيضًا، وتواترت بها السنة، فمن ذلك:

إقامة التوحيد وترك الشرك في النيات والأقوال والأعمال، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار" رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" متفق عليه.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، التوحيد، والصلاة والزكاة، فعن أبي أيوب – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: دلني على عمل أعمله، يدنيني من الجنة، ويباعدني من النار قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك" فلما أدبر، قال رسول الله ﷺ: "إن تمسك بما أمر به دخل الجنة" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبكل إقامة ثلاثون حسنة" رواه ابن ماجه. وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى البردين دخل الجنة" رواه البخاري ومسلم.

www.alukah.net

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة" رواه أبو داود وابن ماجه. وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يتوضأ فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثم يقوم، فيصلي ركعتين، مُقْبِلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة" رواه مسلم. وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة" أو "إلا بُني له بيت في الجنة" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، إسباغ الوضوء والدعاء، فعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من مسلم يتوضَّأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء" رواه مسلم. وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء في دعاء سيد الاستغفار، وما اشتمل عليه من بديع المعاني، في إظهار العبد فاقته وذله وحاجته لله على كل حال، وأن العبد لا غنى له عن رحة ربه والرجوع إليه دائمًا، فعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّن وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من النهار موقنًا ها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" رواه البخاري.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون:



نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسْتَرْجَعَ، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه: بيت الحمد" رواه الترمذي.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" رواه الترمذي وابن ماجه.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة بابًا، يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد" رواه البخاري ومسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟" قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟" قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، فقال رسول الله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبور ليس له جزاء إلى الجنة" رواه البخاري ومسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" رواه أحمد وابن حبان.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوَّأت من الجنة منزلاً" رواه الترمذي



www.alukah.net

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وَتَوَكَّلَ الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة" رواه ومسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الوالد أَوْسَطُ أبواب الجنة، فإن شئت فَأضِعْ ذلك الباب أو احفظه" رواه الترمذي وابن حبان. وعن معاوية بن جاهمة رضي الله عنهما أن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول: الله أردت الغزو وجئتك استشيرك؟ فقال: "هل لك من أم؟ " قال: نعم، فقال: "الزمها، فإن الجنة عند رجلها" رواه أحمد والحاكم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة" رواه البخاري.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطى وفرج بينهما رواه البخاري.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: "تقوى الله وحسن الخلق" وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: "الفَم والفَرْج" رواه الترمذي.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة" رواه البخاري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت"رواه ابن حبان.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من مات وهو بريء من الكبر والغُلُول والدَّيْن دخل الجنة" رواه الترمذي وابن ماجه.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة، فليلزم الجماعة" رواه الترمذي. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتًا في الجنة" رواه الترمذي.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا في الجنة" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: رسول الله ﷺ: "لا تغضب ولك الجنة" رواه الطبراني.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشرًا ويحمد عشرًا، ويكبر

www.alukah.net شبكة الألوكة

عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمس مائة في الميزان، ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، فذلك مائة باللسان وألف في الميزان". فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله: كيف هما يسير ومن يعمل بها قليل؟! قال: "يأتي أحدكم – يعني الشيطان – في منامه، فَيُنَوِّمُهُ قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقوله" رواه أبو داود والنسائي.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن جابر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار" رواه ابن حبان. وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت" رواه النسائي. وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك" رواه الطبراني.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله" وفي رواية: "يا ويلي، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت، فلي النار" رواه مسلم.

ومن تلك الأعمال الموصلة إلى الجنة، ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأُنظر الموسِرَ، وأتجاوز عن المعْسِرَ، فأدخله الله الجنة" رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: "إن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه، فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنة" رواه البخاري.

والنصوص في بيان الأعمال الصالحة الموجبة للوصول إلى الجنة كثيرة مشهورة، ومن تأمل كتب السنة كالبخاري ومسلم ومسند أحمد والسنن وغيرها، لوجد عشرات من نصوص الكتاب والسنة، إنما كان ما ذكرنا مثالًا عليها، ومشوقًا إليها، وسبيلًا إلى البحث



عنها، فطالب الجنة المشتاق إليها، لا تقر له عين حتى يعمل بعمل أهلها، ويسلك سبيل أهل السعادة فيها، بل ويحمل نفسه بالمجاهدة لذلك، فإن من عرف لذة لحظة في الجنة، علم أن الدنيا كلها لا تقوم لها قط، فأي نعيم بعدها يرغب! أو طريق غيرها يذهب!!





www.alukah.net

مراجع الكتاب

****

١ - القرآن الكريم.

٢ - تفسير الإمام ابن كثير.

٣- تفسير العلامة ابن سعدي.

٤ - فتح القدير للإمام الشوكاني.

٥- صحيح الإمام البخاري.

٦- صحيح الإمام مسلم.

٧- سنن أبي داود.

٨- سنن الترمذي.

٨- سنن ابن ماجه.

٩- سنن النسائي.

١٠ - مسند الإمام أحمد.

١١ - صحيح ابن حبان.

١٢ - معاجم الطبراني.

١٣ - رياض الصالحين.

١٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لا بن حجر العسقلاني.

١٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٦ - التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية.

١٧ - الصفدية، لابن تيمية

١٨ - الاستقامة، لابن تيمية.

١٩ - العبودية، لابن تيمية.

٢٠ - الفوائد، لابن القيم.

٢١ - مدارج السالكين، لابن القيم.





٢٢- حادي الأرواح، لابن القيم.

٢٣- طريق الهجرتين، لابن القيم.

٢٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم.

٢٥- صيد الخاطر، لابن الجوزي.

٢٦- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي.

٢٧- فضل علم السلف، لابن رجب الحنبلي.

٢٨- لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي.

٢٩- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي.

٣٠- سير أعلام النبلاء، للذهبي.

٣١- الموافقات، للإمام الشاطبي.

٣٢- مجموع فتاوى الإمام محمد بن إبراهيم.

٣٣- ظاهرة ضعف الإيمان، للمنجد.

* * *



www.alukah.net

الفهـــرس



www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة





إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموضـــــــــــوع — الصفحة



الموضـــــــــــوع	الصفحة



إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



